

الكشف المبين

لبدن أبرد سبه

الحمد لله

كتبه:

أبو السمح إياد الحاشدي

دار الحديث بدماج

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه ولمن لأثره اقتفى أما بعد: يقول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَكْفِيهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿... مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (٢٨)

فدلت هاتان الآيتان على أن في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم غنية وكفاية في كل خير ومخرج من كل فتنة وجواب لكل مشكل، وفصل بين كل ما اختلف فيه.

وما ضلَّ من ضلَّ إلا بسبب بعده عن هذين النورين، وطلبه الخير من غيرهما.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥٠)

واعلم أخي القارئ - بصرك الله بالحق والعمل به - أن أعداءك من شياطين الجن وشياطين الإنس يتربصون بك الدوائر، ويكيدون لك المكائد، ويستعملون لصدك عن الحق وإبعادك عنه أخبث الأساليب، وأمكر الطرق.

قال الله تعالى: عن إبليس ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَكِبَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وقال تعالى: ﴿قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١٦) ثُمَّ لَا تَجِدُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (١١٢)

ومن هذه الأساليب والحيل التي يصطادون بها الناس، خاصة من شغل عن العلم، وكذا من لم يرد ما أشكل وغمض عليه معرفته إلى الكتاب والسنة.

فمن أشر هذه الأساليب إيراد الشبهه وتقليب الحقائق.

وبسبب خلط الباطل بشيء من الحق وقع كثير من الناس في هذه الشبهه والتبست عليه الأمور وحصل له التخبط والاعتزاز بهؤلاء الصادقين الناس عن الحق، وأهله.

وسُميت الشبهه شبهه؛ لاشتباهاها بالحق، وخلطها بشيء من الحق.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنْهُوَ الْحَقُّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنْهُوَ الْحَقُّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ﴾.

وقال ابن القيم - رحمه الله - في كتابه الشَّيْق "مفتاح دار السعادة" (١/ ١٤٠): وإنما سميت الشبهة شبهة لاشتباه الحق بالباطل فيها فأنها تلبس ثوب الحق على جسم الباطل وأكثر الناس أصحاب حسن ظاهر فينظر الناظر فيها البُسته من اللباس فيعتقد صحتها. اهـ

وقد حذر الله سبحانه من إتباع الشبه والمتشابه؛ لأن ذلك سبباً للفتنة وأن الواجب هو إتباع الحق والبعد عن الشبه قَالَ تَعَالَى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ). والعبد المؤمن الذي يرجو الله واليوم الآخر، هو الذي يتعد عن الشبه، ويُحْكَم الكتاب والسنة، ويُسَلِّم للكتاب والسنة؛ فيسلم قلبه ودينه من الغي والضلال، وتسلم له استقامته، ويزداد إيمانه، وينال بذلك رضوان ربه تعالى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ٦٥﴾ .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَأَوَّلُوا رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ٨٣﴾ .

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - كما في كتابه "طريق المهجرتين" (ص ٦٦):... وهذا حقيقة القلب السليم الذي سلم من شبهة تعارض الحق وشهوة تعارض الأمر فلا استمتع بخلافه كما استمتع به الذين يتبعون الشهوات ولا خاض في الباطل خوض الذين يتبعون الشبهات بل اندرج خلاقه تحت الأمر واضمحل خوضه في معرفته بالحق فاطمأن إلى الله معرفة به ومحبة له وعلماً بأمره، وإرادة مرضاته... الخ.

واعلم أخي القارئ - علمني الله وإياك - أن الرد على الشبه، وتفنيدها، وحل الإشكالات من ديننا، ولذا ردَّ الله عن بعض شبه الكافرين فقال سبحانه:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذابين ﴿

وقَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿

ومن ذلك أيضاً قول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَيِّهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا أَيَّاهُ فَلَمَّا بُنِنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ (١١٤)

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى كما في كتابه الاستقامة ص ١٢١: ... وأما ثانياً فلأن المؤمنين كانوا يسألونه عن أدنى شبهة (١) تقع في القرآن حتى نساؤه فراجعت عائشة في قوله من نوقش الحساب عذب وذكرت قوله تعالى: (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) حتى قال لها ذلك العرض وراجعت حفصة في قوله لن يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة وذكرت قوله تعالى: (وإن منكم إلا واردها) حتى أجابها بقوله ألم تسمعي قوله تعالى: (ثم ننجي الذين اتقوا) وراجعه عمر بقوله: (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) عام الحديبية لما صالح المشركين على الرجوع ذلك العام حتى قال له أبو بكر كما قال له النبي صلى الله عليه وسلم أقال لك أن تدخله هذا العام قال لا قال فإنك داخله ومطوف به... ا.هـ.

ومما تقدم أحببت أن أكتب هذه النصيحة تذكيراً للغافل، وتعليةً للجاهل، وتنبيهاً للعالم، ورداً للباطل. وقد استفدت في هذه النصيحة من كلام أهل العلم، وكذا من نصائح وردود شيخنا المجاهد العلامة يحيى بن علي الحجوري حفظه الله، وكذا استفدت من ملزمة (٢) أختينا الفاضل الباحث المفيد يوسف الجزائري حفظه الله، فجزاهم الله خيراً. والله المستعان وعليه التكلان فيما نقول ونفعل.

والقصد من ذلك الحذر والتحذير من مخالفة الحق بمثل هذه الشبه وغيرها، وكذا بأن يكون الإنسان على بصيرة من أمره، فإذا جاءت مثل هذه الشبه وغيرها يعرف كيف يتعامل معها على بصيرة من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، ومن منهج السلف الصالح، ولا يكون صيداً للباطل وأهله، وكذا كي لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين كما جاء في الحديث، ومعلوم من أساليب أهل الباطل أن كل طائفة منهم تستفيد من الأخرى في عرض الشبه وتقليب الحقائق، ولكن يختلفون في الأساليب، ويزيد بعضهم على بعض.

وهذه أبرز ما يتشبه بها القوم، وأشهر ما يروجونها بين الناس، وإلا فالقوم عندهم شبه كثيرة؛ لأن ذلك سلاحهم الذي يسطون به على الحق وأهله، ولكن كما قال الله تعالى:

(بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق..) ويقول: (قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يُعيد)، ويقول سبحانه: (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) أي: مهما حصل له رواج، ومهما لبس أصحابه على الناس فمصير الباطل وأهله إلى هزيمة وضياع وتلاشي بأذن الله العزيز الحكيم، قال عز من قائل: (ومكر أولئك هو يبور).

١- والمراد بذلك والله أعلم يسألونه عن أدنى إشكال، ولا شك أيضاً أن الشبه فيها إشكال على الناس، وتلتبس عليهم الأمور بسببها.

٢- "نصب المنجنيق لقطاع الطريق إلى دماغ دار العلم والتحقيق".

والآن إلى ذكر بعض من الشبه التي يوردها أهل الباطل على أهل السنة ليضلوا بها الناس، ويصدوهم عن الحق، ويشوّهون بها رونق الحق وأهله، ويجرّوهم إلى إتباعهم بالباطل:



الشبهة الأولى:

لا يقبل كلام الأقران بعضهم على بعض:

ومعنى هذا الشبهة: أولاً: معنى الأقران: قرين الرجل هو من كان مساوياً له في السن والإسناد.

قال ابن الأمير الصنعاني — رحمه الله — في "توضيح الأفكار" (٢/١٩٥): واعلم أن مرادهم بالأقران المتعاصرين في قرن واحد والمتساوون في العلوم .

وقال — رحمه الله —: في "توضيح الأفكار" (٢/٢٩٩ - ٣٠٠): والقرينان عندهم من استويا في الإسناد والسن غالباً.

وقال ابن جماعة — رحمه الله — في "المنهل الروي" (ص ٧٣): الأقران هم المتقاربون في السنن والإسناد.

فمقصد أصحاب هذه الشبهة، أن الرجل إذا نقد، وتكلم في رجل - بحق وحجة - وكان ذلك الرجل الذي نُقِدَ قرين الرجل الذي نُقِدَ؛ فإننا لا نقبل ذلك النقد والجرح المبني على أدلة، وحجج، بحجة أن ذلك من كلام الأقران.

الرد على هذه الشبهة: لا شك أن أهل الباطل أهل تلبيس ومكر وأنه متى ما ظهرت كلمة الحق فيهم فإنهم يستعملون أنواع الحيل لرد ذلك وتعمية ما قد بُيّن من حالهم إما بتكذيب ما قد قيل فيهم دون أن يأتوا ببرهان وإما بالاعتداء على قواعد أساسية منهجية عليها أدلتها وتحريفها على ما تهوى أنفسهم. فإذا تكلموا هم في أحدٍ وإن كان من أقرانهم فيلزمون الناس بقبوله وأن هذا هو الحق وأما إذا تكلم فيهم فيأتون بمثل هذه الشبهة الهزيلة ليصدوا الناس بها عن قبول الحق والتحذير من أهل الباطل .

وأنقل لك أخي القارئ كلام أهل العلم المنصفين الراسخين الذين قصدهم الحق أينما كان معهم أم مع غيرهم الشأن هو الدليل ومن ذلك:

قال الإمام ابن الأمير الصنعاني رحمه الله تعالى في كتابه "ثمرات النظر في علم الأثر ص ١٣٠": (... ثم إن كان مرادهم بالأقران المتعاصرون في قرن واحد والمتساوون في العلوم فهو مشكل لأنه لا يعرف حال الرجل إلا من عاصره ولا يعرف حاله من بعده إلا بأخبار من قارنه إن أريد الأول وإن أريد الثاني فأهل العلم هم الذين يعرفون أمثالهم ولا يعرف أولي الفضل إلا ذوو الفضل فالأولى إناطة ذلك لمن يعلم أن بينهما تنافسا أو تحاسدا أو شيئاً يكون

سببا لعدم الثقة لقبول بعضهم في بعض لا لكونه من الأقران فإنه لا يعرف عدالته ولا جرحه إلا من أقرانه وأعظم ما فرق بين الناس هذه العقائد والاختلاف فيها فليحذر عن قبول المختلفين فيها بعضهم في بعض قبل البحث عن سبب القدر والتثبت في صحة نسبته إليه.

وقال العلامة اللكنوي رحمه الله تعالى في "الرفع والتكميل ص ٤٣١":

فائدة: قد صرحوا بأن كلمات المعاصر في حق المعاصر غير مقبولة وهو كما أشرنا إليه مقيد بما إذا كانت بغير برهان وحجة وكانت مبنية على التعصب والمنافرة فإن لم يكن هذا ولا هذا فهي مقبولة بلا شبهة فاحفظه فإنه مما ينفعك في الأولى والآخرة.

وقال رحمه الله: وفي فتح المغيث لكن قد عقد ابن عبد البر في جامعة باباً لكلام الأقران المتعاصرين بعضهم في بعض ورأى أن أهل العلم لا يقبل الجرح فيهم إلا ببيان واضح فان انضم إلى ذلك عداوة فهو أولى بعدم القبول وقال الإمام الوادعي رحمه الله تعالى مجيباً عن هذه الشبهة أيضاً في شريط: "الأجوبة الندية على الأسئلة الهولندية" (٣) فقال: (... ما بقي إلا أصحاب الدنيا الذين لهم مصالح هم الذين يقولون هذا، وإلا فقد اتضحت الحقيقة، اتضحت الحقيقة يا هذا! أكلام الأقران غير مقبول؟ - فأجابه طالب: - كلام الأقران إذا ظهر أنه لعداوة أو لحسد فهنا لا يقبل. قال الشيخ: صحيح، - قال الطالب: - وأما إذا كان ناصحاً له ومبيناً حقيقة أمره وزينغه؛ فأعرف الناس بالرجل هو قرينه، فقال الشيخ: صحيح... كلام الأقران بحسب ما قرأتموه وفي كتب الرجال وفي كتب التواريخ؛ مقبول أو غير مقبول؟ ...

نعم يا إخوان، القرين هو أعرف بك من غيره، فينبغي أن يكون مقدماً، ما معنى قولهم: فلان أعرف الناس بأهل بلده، وفلان أعرف الناس بالمصريين، وفلان أعرف الناس بالشاميين (٤)، أي نعم...، ثم ذكر أمثلة على ذلك.

وقال رحمه الله كما في المقترح ص ٥٧: فائدة حول رواية الأقران:

جرح الأقران أثبت من غيرهم، لأنهم أعرف بقرائهم، فهي مقبولة إلا إذا علم أن بينهما تنافساً وعداوة سواء لأجل دنيا، أو مناصب، أو خطأ في فهم، ويريد أن يلزم الآخر بخطأ فهمه.

فينبغي أن تعلم هذا ولا تصغ لقول المتدعة والحزبيين والديمقراطيين: أن كلام الأقران ليس مقبولاً على الإطلاق.

وسئل شيخنا العلامة يحيى بن علي الحجوري حفظه الله:

ما هو ضابط الأقران؟ ومتى يقبل كلام القرين في قرينه؟

فأجاب: كلام القرين المبرهن يُقبل في قرينه، ولو أهدر هذا الباب لما قبلنا جلّ كتب الجرح والتعديل، هل تكلم الإمام أحمد في الكرابيسي لأنه بعد أن مات الكرابيسي وإلا في زمنه؟! وهكذا عدد... قلنا الحق يجب أن يقبل ولا تتميع

٣- نقلنا من ملزمة أخينا المفيد الأخ أبي حاتم يوسف الجزائري (نصب المنجنيق...).

٤- ولا شك أن كثير من أصحاب هذه الشبهة كانوا ممن يقررون هذه القواعد والأصول السلفية التي درسوها ودرّسوها في باب مصطلح الحديث، ولكن الرزية كل الرزية أن نُنكر ما كنتم تعرف، وتعرف ما كنتم تُنكر.

القضية: كلام أقران!!! أبو الحسن من أقراننا، وكذلك أيضا جلّ الحزبيين الآن الموجودين، الزناداني من أقراننا، صعتر من أقراننا... إيش، نترك هذا وما يقبل الحق من أجل أن هذا في زمنه ومن أقرانه!! أين الحق إذن!! كلام فارغ... الكلام الفارغ الذي يُبنى على غير الحق لا يقبل .

وإنّ كلام المرء في غير كُنْهه لَكَالنبَل تهوي ليس فيها نصالها
 ووالله ، من عارض الحق أنه سينكس رأسه كما نكس رأس من قبله "من شريط أسئلة أهل لحج "

الشبهة الثانية (°) :

**قولهم إن الكلام والتجريح في المخالف، والخلاف فيه؛ كاختلاف السلف في بعض الرواة...
 مع بقاء الألفة، وعدم الإلزام بقول أحد!!!!!!**

الرد على الشبهة: اعلم أهلك الله التوفيق والإتباع، وجنّبك الخذلان والابتداع؛ أن القياس الفاسد المصادم للحجة؛ قاعدة يعتمد عليها دعاة البدع والتحزب لرد الحق وإخامده، حتى قال الإمام الشاطبي - رحمه الله تعالى - في "الاعتصام ١/ ٣٣٥": (..القياس الفاسد.. هو عمدة كل مبتدع). وقد مرّ قول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: (وكل من يخالف مذهب أهل السنة لا يعتمد إلا على أحد ثلاثة أشياء.. - وذكر منها: - أو قياس فاسد..). وهو مذهب إبليسي قديم، وأصل كل شرّ عظيم. قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: (والشرع دائماً يبطل القياس الفاسد، كقياس إبليس، وقياس المشركين الذين قالوا: إنما البيع مثل الربا.... ولهذا قال طائفة من السلف: (أول من قاس إبليس، وإنما عبّدت الشمس والقمر بالمقاييس)، أي بمثل هذه المقاييس التي يشتهب فيها الشيء بما يفارقه، كأقيسة المشركين) "الفتاوى ٢٠/ ٥٣٩-٥٤٢.

وقال شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - في "العبودية ص ٦٩": (وأصل ضلال من ضلّ هو تقديم قياسه على النص المنزّل من عند الله واختياره الهوى على إتباع أمر الله).

ومن ذلك قول شلة التعصب والخذلان:

إن الكلام في عبد الرحمن بن مرعي، كمثّل الكلام في الرواة الذين اختلف فيهم أئمة الحديث من بين جراح له ومعدّل، مع عدم إنكار بعضهم على بعض، ولسنا ملزمين بقول فلان ولا علان!!!

هكذا يلبسون على الناس ويتلاعبون بعقولهم، ويقفون موقف أهل الأهواء لإسقاط الحق وأهله، وتجرئة الناس على رده وتمييعه، هروبا من الحجج التي أقيمت عليهم، لكن الله تعالى يقول: { كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله... } .

ومن بيّن عوار هذه الشبهة العليّة؛ العلامة المجاهد أبو محمد ربيع بن هادي المدخلي وفقه الله تعالى، حيث قال (...): ولا يقف المسلم المتبع موقف أهل الأهواء فيقول: قد اختلف العلماء، فلا يلزمني قول فلان ولا فلان، ويذهب يتلاعب بعقول الناس، فإن مثل هذا القول يُجرىء الناس على رد الحق وإسقاط أهله، وصاحب الحجّة يجب الأخذ بقوله إتباعاً لشرع الله وحجته، لا لشخص ذلك الرجل وسواد عينيه... والإمام أحمد نفسه خالف الناس في شريك ابن عبد الله النخعي وأبي نعيم، لأنه لم تقدم له الحجّة على تبديعهما، ولو قدّموها له لقبها والتزمها، كما عهدنا ذلك منه ومن أمثاله رحمه الله، فمدار القبول والرد هو الحجّة لا الهوى (٦)

وقال: (...): عندكم علم من الجرح والتعديل، الكلام الذي قلناه: ناس جرحوا، ناس ما جرحوا، ناس يزكون ويدافعون هذا المجروح، نحن نطلب من الجارحين التفسير، إذا بينوا أسباب الجرح الصحيحة فيجب إتباعهم، لأن هذا إتباع للحق، ورد ما عندهم من الحق رفض للحق... فيجب على من يخالفهم أن ينصاع ويرجع إلى الحق والصواب، وأن يأخذ بالحجّة _ برك الله فيكم _ فكثير من الناس يكذبون بالحق، ويرفضون الحق، وهذا أمر عظيم جداً.. (١هـ المراد، (٧)

قلت (٨): وإنما قد يختلف الأئمة في تضعيف رواة وتجريحهم بسبب الضبط والحفظ بناءً على اجتهاد كل إمام في سببه لحديث الراوي ومقابلة حديثه بروايات الثقات وغير ذلك، فمنهم من يؤدّيه اجتهاده إلى تضعيف الراوي ومنهم من يخالف، ولا يعتقدون على ذلك ولا براءً - ومع ذلك كله إذا أقام أحدهم البينة على ضعف ضبط فلان ببيان ما أخطأ فيه ونحو ذلك، فإنهم يسلمون للحجّة وينقادون إلى الصواب، وقد ينكرون على من خالف منهم..

أمّا باب التبديع؛ فإنه يدخل في باب الأسماء والأحكام، وينبني عليه ولائاً وبراءً، وليس هذا مما يختلف فيه الأئمة، ومن قُدّمت له الأدلّة والبراهين التزمها وأذعن إليها... ..

فتبين بهذا؛ أن المسألة دائرة حول نوع الطعن والجرح في الشخص، فمن كان سبب الجرح فيه هو ضعف الضبط ونحوه، فإن الأمر فيه نسبي، يختلف باختلاف اجتهاد كل واحد من أهل العلم، ولا يوجب ذلك ولا براءً، ومن كان سبب الجرح فيه هو البدعة؛ بنوا على ذلك ولائاً وبراءً، ولزم قبول الحجّة فيه بعد البيان.

وكلام العلماء في التحذير من أهل البدع هو من باب الخبر، وقبول أخبار الثقات أمر ضروري لا بدّ منه، ويجب قبوله وعدم

^٦ - "أئمة الحديث ومن سار على نهجهم أعلم الناس بأهل الأهواء والبدع" (ص ٦٥-٦٦).

^٧ - "الحث على المودة والائتلاف" (ص ٦٠-٦١).

^٨ - القائل هو الأخ يوسف الجزائري.

الشبهة الثالثة^(١)

قولهم: (..ولا ينكر بعضهم على بعض!)، - أي إذا حزب شخص شخصاً ببراہین ولم يحزبه شخص آخر بدون برهان على عدم تحزيبه - فهي نفس تلك القاعدة المنقوضة: (إن مسائل الخلاف لا إنكار فيها!!)،

الرد على الشبهة: وهي قاعدة استخدمها أهل البدع والتَّحزُّب لسدِّ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!! قال الإمام الشوكاني - رحمه الله - في "السييل الجرار" (٤/ ٥٨٨-٥٨٩): (وهذه المقالة قد صارت أعظم ذريعة إلى سدِّ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالواجب على من علم بهذه الشريعة ولديه حقيقة من معروفها ومنكرها؛ أن يأمر بما علمه معروفًا، وينهى عمَّا علمه منكرًا، فالحق لا يتغيَّر حكمه، ولا يسقط وجوب العمل به والأمر بفعله والإنكار على من خالفه، بمجرد قول قائل، أو اجتهاد مجتهد، أو ابتداء مبتدع).

وأقبح منها - وكلامهم فيه إشارة إليها - قاعدة أبي الحسن المبتدعة: (الاختلاف في الأشخاص ليس اختلافًا في الدعوة!!)، ونقضها يُعلم ممَّا سبق، والله الموفق .

• الشبهة الرابعة: قولهم: لا أقبل الجرح في شخص إلا إذا اطلعت بنفسي على قوله أو فعله الذي به يستحق أن يُجرح (بأن أسمعه أو أراه).
وخلاصة هذه الشبهة هو ردُّ خبر الثقة.

الرد على الشبهة: عجباً للهوى كيف يعمل بأصحابه، وكيف أن الشخص إذا حَكَّم هواه تراه يعدو ويسطو على الأدلة إما بلي أعناقها لصالح ما يدعو إليه من الباطل، وإما بالتعامي عنها، وإما بمصادمتها بعمومات الأدلة وأمور لا سلف لهم فيها، فكيف تستسيغ لهم هذه الشبهة وقد قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة... الآية. وهكذا لو رأيتَ واقع هؤلاء فإنك تجد أنهم لا يستطيعون تطبيق هذه القاعدة التي ليس لهم فيها من الله برهان على ذلك.

وبهذه الشبهة أراد أصحابها هدم أصل من أصول أهل السنة وهو قبول خبر الثقة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في "الفتاوى" (٣٠٧/١٥):

أحدها: قوله: { إن جاءكم فاسقٌ نبأً فتبينوا } فأمر بالتبين عند مجيء كل فاسق بكل نبأ، بل من الأنبياء ما ينهى فيه عن التبين، ومنها: ما يباح فيه ترك التبين، ومن الأنبياء ما يتضمن العقوبة لبعض الناس؛ لأنه علل الأمر بأنه إذا جاءنا فاسق نبأً خشية أن نصيب قوماً بجهالة، فلو كان كل من أصيب نبأً كذلك لم يحصل الفرق بين العدل

والفاسق، بل هذه دلالة واضحة على أن الإصابة بنبأ العدل الواحد لا ينهى عنها مطلقاً^(١٠)، وذلك يدل على قبول شهادة العدل الواحد في جنس العقوبات^(١١).

قال العلامة الألباني رحمه الله في كتابه "الحديث حجة بنفسه" (ص ٥٧):

الدليل الثالث : قوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق نبأ فتبينوا } وفي القراءة الأخرى { فتثبتوا } فإنها تدل على أن العدل إذا جاء بخبر ما فالحجة قائمة به وأنه لا يجب التثبت بل يؤخذ به حالاً ولذلك قال ابن القيم رحمه الله في "الإعلام" (٢ / ٣٩٤) :

وهذا يدل على الجزم بقبول خبر الواحد وأنه لا يحتاج إلى التثبت ولو كان خبره لا يفيد العلم لأمر بالتثبت حتى يحصل العلم . ومما يدل عليه أيضاً أن السلف الصالح وأئمة الإسلام لم يزلوا يقولون : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وفعل كذا وأمر بكذا ونهى عن كذا وهذا معلوم في كلامهم بالضرورة وفي "صحيح البخاري" : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في عدة مواضع وكثير من أحاديث الصحابة يقول فيها أحدهم : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وإنما سمعته من صحابي غيره وهذه شهادة من القائل وجزم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما نسب إليه من قول أو فعل فلو كان خبر الواحد لا يفيد العلم لكان شاهداً على رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير علم.

وقال رحمه الله^(١٢): وهذا معنى قول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في "الرسالة" (ص ٤١٢) :

وهو صلى الله عليه وسلم لا يبعث بأمره إلا والحجة للمبعوث إليهم وعليهم قائمة بقبول خبره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان قادراً على أن يبعث إليهم فيشافههم أو يبعث إليهم عدداً فبعث واحداً يعرفونه بالصدق . قال العلامة الشنقيطي - رحمه الله - في "أضواء البيان" (٧ / ٤٦٩)، في قوله تعالى: {إن جاءكم فاسق نبأ فتبينوا} : وقد دلت هذه الآية من سورة الحجرات على أمرين :

الأول منهما : أن الفاسق إن جاء نبياً يمكن معرفة حقيقته ، وهل ما قاله فيه الفاسق حق أو كذب فإنه يجب فيه التثبت والثاني : هو ما استدل عليه بها أهل الأصول من قبول خبر العدل لأن قوله تعالى : { إن جاءكم فاسق نبأ فتبينوا } يدل بدليل خطابه ، أعني مفهوم مخالفته أن الجائي نبياً إن كان غير فاسق بل عدلاً لا يلزم التبين في نبئه على قراءة : فتبينوا . ولا التثبت على قراءة : فتثبتوا ، وهو كذلك . والأول من التبين ، والثاني من التثبت .

ومعنى القراءتين واحد ، وهو الأمر بالتأني وعدم العجلة حتى تظهر الحقيقة فيما أنبأ به الفاسق . اهـ

^{١٠} - قول شيخ الإسلام (مطلقاً): أراد بذلك مثلاً إذا أخبر رجل أو رجلان عدلان، بأن فلان من الناس زنى، فإننا لا نقبل خبره، ولا نعاقب الذي رموه بالزنى، لا لأننا نرد خبر الثقة، ولكن لأنه قد جاء نص بأننا لا نقبل ذلك إلا بأربعة شهداء كما قال الله تعالى: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِمْ بِأَرْبَعَةٍ شَهَادَةٍ قَدْ كَانَتْ بَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ .

^{١١} - أي وغير ذلك، وإنما قال ذلك؛ لأن كلامه كان في سياق ذكر قبول خبر الواحد في باب العقوبات.

^{١٢} - الحديث حجة بنفسه (ص ٥٩).

قال العلامة ابن عثيمين^(١٣) - رحمه الله - وقوله - سبحانه وتعالى - : { إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا } يفيد أنه إن جاءنا عدل فإننا نقبل .

قلت: فإذا كان في حق الفاسق أمرنا الله أن نتبين، ونثبت، ولا نرده مطلقاً، فكيف بخبر الثقة العدل. قال العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - في قوله تعالى { إن جاءكم فاسق بنبأ } : أي جاءكم بخبر من الأخبار، وهو فاسق... إلى أن قال رحمه الله: جاءنا بخبر - أي هذا الفاسق - فلا نقبله لما عنده من الفسق، ولا نرده لاحتمال أن يكون صادقاً، ولهذا قال الله - عز وجل - : { فتبينوا } ولم يقل فردوه، ولم يقل فاقبلوه، بل يجب علينا أن نتبين، وفي قراءة (فتثبتوا) وهما بمعنى متقارب، والمعنى: أن نثبت.

قال الإمام الوادعي رحمه الله في كتابه المقترح ص (٩٠):... فهذا من باب قبول خبر الثقة، وليس من باب التقليد، فإن الله عز وجل يقول في شأن قبول خبر الثقة: { يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين } . مفهوم الآية أنه إذا جاءنا العدل بالخبر نقبله.... اهـ .
وقال رحمه الله: كما في شريط "الأجوبة الندية على الأسئلة الهولندية"

(بتاريخ ٢٣ ربيع أول ١٤٢٠): فعلى هذا إذا قام عالم من علماء العصر وأبرز البراهين على ضلال محمد الغزالي، أو يوسف القرضاوي، أو منهج الإخوان المسلمين، نقبل ويجب قبوله، "يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين" نعم، إذا جاءنا العدل نقبل، كما هو مفهوم الآية إذا جاءنا العدل نقبل، فأين أنتم من الآية التي تدل على أنه إذا جاءنا العدل نقبله، وإذا جاءنا الفاسق بنبأ نتبين، فماذا يا إخوان! فالهمم : القوم ملبسون مخالفتون لعلماءنا المتقدمين ولعلماءنا المتأخرين، والحمد لله، وإني أحمد الله سبحانه وتعالى، الناس لا يثقون بك يا أيها المهوس ولا بكلامك .

وهكذا نقول: انظر إلى كتب الجرح والتعديل في الرواة، فإنك تجد كثيراً من الرواة قد جرحوا من مجرحين لم يروهم ولم يلتقوا بهم وربما لم يعاصروهم، وإنما كان ذلك عن طريق سبر رواياتهم ومقارنتها برواية غيرهم من الثقات، وكذا لم يكن السلف يستخدمون هذه القاعدة الهدامة لمنهج الجرح والتعديل، فهذا الإمام أحمد يدخل عليه ولده وإليك القصة: قال سعيد بن عمرو البرذعي: قال لي أبو زرعة: ترى داود هذا، لو اقتصر على ما يقتصر عليه أهل العلم لظننت أنه يكمد أهل البدع بما عنده من البيان والأدلة، ولكنه تعدى، لقد قدم علينا من نيسابور، فكتب إلي محمد بن رافع، ومحمد بن يحيى، وعمرو بن زرارة وحسين بن منصور، ومشيخة نيسابور بما أحدث هناك، فكتمت ذلك لما خفت من عواقبه، ولم أبد له شيئاً من ذلك، فقدم بغداد، وكان بينه وبين صالح بن أحمد حسن، فكلم صالحاً أن

يتلطف له في الاستئذان على أبيه فأتى صالح أباه . فقال له : رجل سألني أن يأتيك . قال : ما اسمه ؟ قال : داود . قال : من أين ؟ قال : من أهل أصبهان . قال : أي شيء صناعته ؟ قال : وكان صالح يروغ عن تعريفه إياه ، فما زال أبو عبد الله يفحص عنه حتى فطن . فقال : هذا قد كتب إلي محمد بن يحيى النيسابوري في أمره أنه زعم القرآن محدث ، فلا يقربني . قال : يا أبت ينتفي من هذا وينكره . فقال أبو عبد الله : محمد بن يحيى أصدق منه ، لا تأذن له في المصير إلي .^(١٤)

ومما يرد على هذه الشبهة ما جاء عند "البخاري" عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ جَاءَتْ ، فَزَعَمَتْ أَنَّهَا أَرْضَعَتْهَا ، فَذَكَرَ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، وَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - . قَالَ « كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ » . وَقَدْ كَانَتْ تَحْتَهُ ابْنَةُ أَبِي إِهَابِ التَّمِيمِيِّ . أَي أَنَّهُ تَرَكَهَا بِسَبَبِ مَا أَخْبَرْتَهُ بِهِ تِلْكَ الْمَرْأَةُ . فَاظْطَرَّ إِلَى قَوْلِهِ : " كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ " .

وَسُئِلَ^(١٥) الشَّيْخُ الْعَلَمَةُ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى النَّجْمِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : مَا رَأَيْكُمْ فِي قَوْلِ بَعْضِ الشَّبَابِ : أَنَا لَا أَقْبَلُ قَوْلَ أَيِّ أَحَدٍ أَنَّ فُلَانًا مِنَ النَّاسِ مَبْتَدِعٌ أَوْ حَزْبِي ، إِلَّا إِذَا كُنْتُ سَمِعْتُ مِنْهُ شَخْصِيًّا ؟ فَأَجَابَ رَحِمَهُ اللَّهُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَبَعْدُ : يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا } . وَمَقْتَضَى هَذَا الْمُرْأَةَ أَنْ يَجِبَ التَّبَيُّنُ فِي خَبَرِ الْفَاسِقِ .

أَمَّا خَبَرُ الْعَدْلِ ، فَإِنَّهُ يُؤْخَذُ بِهِ ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ الْمَخْبَرُونَ جَمَاعَةً وَمِنْ خَيْرَةِ الْمَجْتَمَعِ وَأَعْلَاهُ وَأَفْضَلِهِ عِلْمًا وَعَدَالَةً ، فَإِنَّهُ يَجِبُ وَيَتَحْتَمُّ الْأَخْذُ بِهِ ، وَمَنْ رَدَّهُ فَإِنَّمَا يَرُدُّهُ لِهَوَى فِي نَفْسِهِ ؛ لِذَلِكَ فَهُوَ مُدَانٌ ، وَيُعْتَبَرُ حَزْبِيًّا بِهَذَا الرَّدِّ ، فَهُوَ يُلْحَقُ بِهِمْ ، وَيُعَدُّ مِنْهُمْ . وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

• الشبهة الخامسة: الذين جرحوا أقل من الذين عدلوا (مسألة الحكم بالكثرة):

الرد على الشبهة: وهذه الشبهة من أقوى ما يتقوى بها أهل الباطل مع ضعفها عند من يفقه كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وهي سلاح الضعفاء، والذين ليس لهم حجة، وقد ذمَّ الله الكثرة في كثير من آياته، خاصة الكثرة بالباطل وبغير حق وبغير حجة.

قال الله تعالى: (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) ،

وقال سبحانه: (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقال تعالى: (وقليل من عبادي الشكور) ، وقال عز وجل: (وإن كثيراً من الخلقاء لبيغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) .

وقال تعالى: { ولكن أكثر الناس لا يؤمنون } ، وقال الله: { ولقد أضل قبلهم أكثر الأولين } ، وقال جلَّ شأنه: { إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين } .

^{١٤} - "تاريخ بغداد" (٨/ ٣٧٣ و ٣٧٤) .

^{١٥} - الفتاوى الجليلة على المناهج الحزبية (ص ٢٩) .

والله سبحانه قد علق الناس باتباع الحق من الكتاب والسنة على منهج السلف فقال تعالى:

{ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون }

وقال سبحانه: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً)، فقله: (ويتبع غير سبيل المؤمنين) هذا هو منهج السلف. وكذا كان من أوهى حجج الكافرين أنهم احتجوا على باطلهم وردهم للحق بكثرتهم وأن صاحب الحق واحد فقال سبحانه ﴿ فَقَالُوا أَشْرَكُ مِمَّا وَجَدْنَا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾.

قال الإمام الموفق ابن قدامة - رحمه الله - في كتابه "المناظرة في القرآن" (ص ٥٧ - ٥٨): ... ومن العجب أن أهل البدع يستدلون على كونهم أهل الحق بكثرتهم وكثرة أموالهم وجاههم وظهورهم ويستدلون على بطلان السنة بقلة أهلها...

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - في كتابه "مفتاح دار السعادة" (١ / ١٤٧): (... وقوله أولئك الأقلون عددا الأعظمون عند الله قدرا يعني هذا الصنف من الناس أقل الخلق عددا وهذا سبب غربتهم فإنهم قليلون في الناس والناس على خلاف طريقهم فلهم نبأ وللناس نبأ قال النبي صلى الله عليه وسلم بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء فالؤمنون قليل في الناس والعلماء قليل في المؤمنين وهؤلاء قليل في العلماء وإياك أن تغتر بما يغتر به الجاهلون فإنهم يقولون لو كان هؤلاء على حق لم يكونوا أقل الناس عددا والناس على خلافهم فاعلم أن هؤلاء هم الناس ومن خالفهم فمشبهون بالناس وليسوا بناس فما الناس إلا أهل الحق وإن كانوا أقلهم عددا قال ابن مسعود لا يكن أحدكم إمعة يقول أنا مع الناس ليوطن أحدكم نفسه على أن يؤمن ولو كفر الناس".

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه "الفروسية" ص (٢٩٩ - ٣٠٠): (قالوا ونحن نحاكمكم في ذلك إلى الفطر التي لم تندفع بالتعصب ونصرة آراء الرجال والتقليد وأما قولكم إن القول بعدم المحلل قول شاذ وإن من شذ، شذ الله به فجوابه من وجوه:

أحدها أن القول الشاذ هو الذي ليس مع قائله دليل من كتاب الله ولا من سنة رسول الله فهذا هو القول الشاذ ولو كان عليه جمهور أهل الأرض وأما قول ما دل عليه كتاب الله وسنة رسول الله فليس بشاذ ولو ذهب إليه الواحد من الأمة فإن كثرة القائلين وقتلهم ليس بمعيار وميزان للحق يعير به ويوزن به وهذه غير طريقة الراسخين في العلم وإنما هي طريقة عامية تليق بمن بضاعتهم من كتاب الله والسنة مزجاة. وأما أهل العلم الذين هم أهله فالشذوذ عندهم والمخالفة القبيحة هي الشذوذ عن الكتاب والسنة وأقوال الصحابة ومخالفتها ولا اعتبار عندهم بغير ذلك ما لم يجمع المسلمون على قول واحد ويعلم إجماعهم يقينا فهذا الذي لا تحل مخالفته..).

وقال رحمه الله في كتابه النفيس "إعلام الموقعين عن رب العالمين" (٣ / ٣٩٧ - ٣٩٨): (واعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق وإن كان وحده وإن خالفه أهل الأرض قال عمرو بن ميمون الأودي

صحبت معاذاً باليمن فما فارقتة حتى واريته في التراب بالشام ثم صحبت من بعده أفضه الناس عبد الله ابن مسعود... إلى أن قال: يا عمرو بن ميمون قد كنت أظنك من أفضه أهل هذه القرية أتدري ما الجماعة قلت لا قال إن جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، الجماعة ما وافق الحق وان كنت وحدك وفي لفظ آخر ف ضرب على فخذي وقال ويحك إن جمهور الناس فارقوا الجماعة وإن الجماعة ما وافق طاعة الله تعالى.

وقال نعيم بن حماد إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد وان كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذ ذكرهما البيهقي وغيره

وقال بعض أئمة الحديث وقد ذكر له السواد الأعظم فقال أتدري ما السواد الأعظم هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه فمسخ المختلفون الذين جعلوا السواد الأعظم والحجة والجماعة هم الجمهور وجعلوهم عياراً على السنة وجعلوا السنة بدعة والمعروف منكر القلة أهله وتفردهم في الإعصار والأمصار وقالوا من شذ شذ الله به في النار وما عرف المختلفون أن الشاذ ما خالف الحق وان كان الناس كلهم عليه إلا واحداً منهم فهم الشاذون وقد شذ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل إلا نفرًا يسيراً فكانوا هم الجماعة وكانت القضاة حينئذ والمفتون والخليفة وأتباعه كلهم هم الشاذون وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة ولما لم يتحمل هذا عقول الناس قالوا للخليفة يا أمير المؤمنين أتكون أنت وقضاتك وولاتك والفقهاء والمفتون كلهم على الباطل واحد وحده هو على الحق فلم يتسع علمه لذلك فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل فلا إله إلا الله ما أشبه الليلة بالبارحة وهي السبيل المهيع لأهل السنة والجماعة حتى يلقيوا ربهم مضى عليها سلفهم ويتنظرها خلفهم من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. اهـ

وقال الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى في "إحكام الأحكام" (٥/٨٦): (الشذوذ في اللغة التي خوطبنا بها هو الخروج عن الجملة وهذه اللفظة في الشريعة موضوعة باتفاق على معنى ما واختلف الناس في ذلك المعنى فقالت طائفة الشذوذ هو مفارقة الواحد من العلماء سائرهم وهذا قول قد بينا بطلانه في باب الكلام في الإجماع من كتابنا هذا والحمد لله رب العالمين وذلك أن الواحد إذا خالف الجمهور إلى حق فهو محمود ممدوح والشذوذ مذموم بإجماع فمحال أن يكون المرء محموداً مذموماً من وجه واحد في وقت واحد وممتنع أن يوجب شيء واحد الحمد والذم معاً في وقت واحد من وجه واحد وهذا برهان ضروري وقد خالف جميع الصحابة رضي الله عنهم أبا بكر في حرب أهل الردة فكانوا في حين خلافهم مخطئين كلهم فكان هو وحده المصيب فبطل القول المذكور... إلى أن قال رحمه الله:

والذي نقول به وبالله تعالى التوفيق إن حد الشذوذ هو مخالفة الحق فكل من خالف الصواب في مسألة ما فهو فيها شاذ وسواء كانوا أهل الأرض كلهم بأسرهم أو بعضهم والجملة هم أهل الحق ولو لم يكن في الأرض منهم إلا واحد فهو الجماعة وهو الجملة وقد أسلم أبو بكر وخديجة رضي الله عنهما فقط فكانا هم الجماعة وكان سائر أهل الأرض غيرهما وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الشذوذ وفرقة وهذا الذي قلنا لا خلاف فيه بين العلماء

وكل من خالف فهو راجع إليه ومقربه شاء أو أبى والحق هو الأصل الذي قامت السموات والأرض به قال الله تعالى {وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل} فإذا كان الحق هو الأصل فالباطل خروج عنه وشدوذ منه فلما لم يجوز أن يكون الحق شدوذا وليس إلا حق أو باطل صح أن الشذوذ هو الباطل.. اهـ

والمتبع للأكثرية في غير الدليل، واقع في شعبة من شعب التقليد!! وعرق من عروق العصبية!! وإن كان مجتهدا من المجتهدين!! فكيف إذا كان جاهلا!!

قال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى في كتابه القيم "أدب الطلب ص ١٥٤ - ١٥٥":

(فإن المجتهد هو الذي لا ينظر إلى من قال، بل إلى ما قال، فإن وجد نفسه تُنازعه إلى الدخول في قول الأكثرين والخروج عن قول الأقلين، إلى متابعة من له جلالة قدر، ونبالة ذكر، وسعة دائرة علم، لا لأمر سوى ذلك؛ فليعلم أنه بقي فيه عرق من عروق العصبية، وشعبة من شعب التقليد، وأنه لم يُوفِّ الاجتهاد حقهَ وأنه لم يوفِّ الاجتهاد حقه.

وَبِالْجُمْلَةِ فَاَلْمَجْتَهِدُ عَلَى التَّحْقِيقِ وَهُوَ مَنْ يَأْخُذُ بِالْأَدَلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ مَوَاطِنِهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي قَدَّمْنَاهُ...إِلَى أَنْ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَحَيْثُ يَهْوَنُ الْخُطْبُ وَتَذْهَبُ الرُّوعَةُ الَّتِي نَزَلَتْ بِقَلْبِهِ مِنَ الْجُمْهُورِ وَتَزُولُ الْهَيْبَةُ الَّتِي تَدَاخِلُ قُلُوبَ الْمُقْصِرِينَ.

وسئِل الإمام الوادعي - رحمه الله -: إذا وثق الراوي واحدٌ وجرحه أربعة، أو جرحه واحدٌ وثقّه أربعة، فالقول قول مَنْ؟ بينوا لي مثلاً واحداً من كتب الحديث والرجال في الجرح المفسر، لأنني قدمت تعديل الأكثرين؟. الجواب: أما تقديم تعديل الأكثرين فليس بصحيح؛ لأن الجرح اطلع على ما لم يطلع عليه المعدل، فمثلاً: أنت تجد الرجل ملازماً للصف الأول وثقته، لكن صاحبك يعرف أنه ليس بحافظ، هو ضعيف الحفظ، أنت تعرف أن الرجل يلازم الصف الأول، لكن صاحبك يعرف أنه يعمل في البنوك الربوية، (أو أنه يصور -عنده مصورة). أو يعمل في حلق اللحى، فالجرح اطلع على ما لم يطلع عليه المعدل، لو وثقه عشرةً وجرحه واحدٌ بجرح مفسر كان الجرح المفسر مقبولاً والله المستعان. اهـ من إجابة السائل (ص ٤٩٨ - ٤٩٩).

وقد سُئِل الإمام الوادعي رحمه الله تعالى كما في شريط "الأجوبة الندية على الأسئلة الهولندية" (بتاريخ ٢٣ ربيع أول ١٤٢٠): هل يشترط في الكلام على الشخص وتجريحه أن يكون أكثر علماء السنة أو كلهم قد جرحوه؟ لاسيما وأن هذا الجرح قد اطلع على بيّنة من كلام هذا المبتدع، من خلال محاضراته وتأليفه؟

فأجاب: (نعم نعم، المسألة يا إخوان ما قرأ القوم المصطلح، نص الأئمة : الخطيب البغدادي في "الكفاية"، وابن الصلاح في "المقدمة"، وابن كثير في "الاختصار" وغيرهم؛ على أنه لا يشترط في قبول الجرح أكثر من واحد.

وهذا هو الصواب الذي لا ينبغي العدول عنه ؛ إذ أن جرح أهل الأهواء يدخل في باب الأخبار، فلا يشترط العدد في قبوله بخلاف باب الشهادة..

أو أنهم قرؤوه ويلبسون!! نقول لكم بأعظم من هذا : هب أن أحمد بن حنبل قال: ثقة، ويحيى بن معين قال : كذاب ، فهل يضره قول يحيى وقد خالفه أحمد بن حنبل ؟ نعم ، قول يحيى جرح مفسر، اطلع على ما لم يطلع عليه أحمد، فماذا؟! فماذا؟ دع عنك لو جرحه يحيى بن معين وحده، فعلى هذا إذا قام عالم من علماء العصر وأبرز البراهين على ضلال محمد الغزالي، أو يوسف القرضاوي ، أو منهج الإخوان المفلسين، نقبل ويجب قبوله، "يأبها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنياً فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين" نعم، إذا جاءنا العدل نقبل، كما هو مفهوم الآية إذا جاءنا العدل نقبل، فأين أنتم من الآية التي تدل على أنه إذا جاءنا العدل نقبله، وإذا جاءنا الفاسق بنياً نتبين، فماذا يا إخوان! فالمهم : القوم ملبسون مخالفون لعلماءنا المتقدمين ولعلماءنا المتأخرين، والحمد لله، وإني أحمد الله سبحانه وتعالى، الناس لا يثقون بك يأبها المهوس ولا بكلامك).

وقال الشيخ ربيع بن هادي المدخلي كما في " شريط أسئلة شباب عدن عن فتنة أبي الحسن ": أما إذا عارضه عالم معتبر مثله بتزكية فحينئذ يطلب من المجرح أن يقوم بالأدلة وأن يقدم الأدلة على ثبوت جرحه وأسبابه، فإذا قدم الأدلة؛ لو عارضه مائة عالم من كبار العلماء وأبرزهم لا قيمة لمعارضتهم لأنهم يعارضون الحجة والبرهان، وهم يعارضون بغير حجة ولا برهان والله يقول: قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين، فالبرهان يسكت الألف من الذين خلت أيديهم من الحجج ولو كانوا علماء فهذه قواعد يجب أن تعرف...

وسئل شيخنا العلامة يحيى بن علي الحجوري حفظه الله تعالى: إذا جرح العالم شخصاً هل يلزم أن يجتمع ويقرّ العلماء على تجريحه ، أم يُكتفى بتجريح عالم واحد؟

فأجاب : (بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، نحمده سبحانه وبه نستعين، أما بعد : فإن الحق يجب أن يؤخذ، فإذا قال من له خبرة بالجرح والتعديل في شخص ما قولاً هو جرح فيه، فينظر إلى براهينه، فإن أتى بحجة وجب قبول الحجة، ولا عذر في ترك الحق لأحد، قال الله عزوجل: { ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق } ، وقال: { أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى } ، وقال الله عزوجل : { يأبها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين -إلى قوله- فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا } ، لا يملككم اتباع الهوى عن البعد عن العدل ، { وإن تلوا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً } ، وهذا سياق تهديد في القرآن لمن يلوي أو يعرض عن الحق، فواجب أخذ الحق ممن أبرزه وبينه، واشترط أنه لا يؤخذ ذلك الحق حتى يجمع عليه كذا كذا من الناس، أو من أهل العلم: من المحدثات، وفي كتب الحديث وفي كتب الفقه وغير ذلك من كتب أهل العلم بيان منهج أهل السنة أنه يتحرى الصواب ويأخذ الحق ، وأنه لا يشترط في الحق أن يكون إجماعاً في كل مسألة، وهذا من المحدثات يعتبر... والشاهد كتب الجرح والتعديل ومن قال غير

ذلك يبرز ما عنده من البراهين .. وضابط الجرح أنه يكون مفسراً مبيناً ، وأن الجرح المفسر يؤخذ ويقدم على التعديل ، فعلى هذا، هذه محدثة عصريّة... هذه محدثة عصريّة باطلة باطلة في زمننا، على علمائنا رحمة الله عليهم، كان العالم يقول ما يراه، وإذا جرح واحدا قالوا: جرحه فلان، هذا الرجل تكلم فيه فلان ويتكلم فيه، وقال في كلامه كذا وكذا؛ يقبل كلامه، فهذا هو الصواب في هذه المسألة، والحمد لله .

وكذا قال حفظه الله تعالى في احتجاجهم على أنهم على الحق بالكثرة: والتي هي – قاعدة الحكم بالكثرة – قال: إنها شبيهة بمبدأ الانتخابيين ، والمُصوتين .

وقال: نحن ما عندنا انتخابات، العبرة بالحق والدليل، والنصر لا يكون بالكثرة، وإنما بالحق، قال الله تعالى: {وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم} .

الشبهة السادسة:

نأخذ بقول الأكابر:

ومن ذلك قولهم: كونوا مع العلماء.

الرد على الشبهة: وأصحاب هذه الشبهة لا يريدون بذلك إلا تعمية الحق ورده لكن بصور مرضية عند من ليس له إطلاع بمنهج السلف وطريقتهم، وأهل العلم كبارهم وصغارهم لهم حق التبجيل والتوقير والاحترام كما بين الله في كتابه فضل أهل العلم وعلو مكانتهم ورفع قدرهم ومن ذلك قال الله تعالى: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات...) وقال سبحانه: شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط...)

وقال عليه الصلاة والسلام: ليس منا من لم يحل كبيرنا ويرحم صغيرنا! ويعرف لعالمنا حقه أخرج أحمد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

والأدلة في ذلك كثيرة. والحمد لله أهل السنة يعرفون قدر العلماء الربانيين العاملين وينزلونهم منازلهم التي أنزلهم الله إياها، ومع ذلك يبغضون التقليد وينهون وينأون عنه كما هو دأب وتوجيه علمائهم، ويعتقدون أن الحق مقدم على قول كل أحد مع احترام أهل العلم من أهل السنة كما قال الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله}، وقال سبحانه: {اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء...}.

وكما قال عليه الصلاة والسلام: عليكم بستي... أخرج الترمذي من حديث العرباض بن سارية. ومعلوم من الأدلة قبول الفاضل للحق من المفضول ومن ذلك: الأحاديث التي جاءت في موافقة الوحي لعمر عمر رضي الله عنه في بعض الأحكام كقوله حجب نساءك، وكذا قوله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى...

ولا شك أن الأخذ بقول أهل العلم الراسخين العاملين وعلى رأسهم أكابر أهل العلم لا سيما القول الموافق للدليل أن ذلك واجب متى ما كان في قولهم الحجة والدليل قال الله تعالى: (واتبع سبيل من أناب إليّ..). فقيدهم إتباع أهل الخير بالإناة إليه وهم الذين يهدون بالحق وبه يعدلون.

والحجة هي الدليل والعبرة بالدليل والشخص إنما يُبجل ويُقدَّر على قدر تمسكه بالدليل وإن خالف الحق خاصة إن تعمد وأصر على المخالفة فإنه لا يُتَّبَع على خطئه بحجة أنه كبير أو عنده علم كثير الخ

وقد ردَّ ابن عبد البر رحمه الله على مثل هذه فقال رحمه الله: يقال لمن قال بالتقليد لم قُلْتَ به وخالفت السلف في ذلك به فإنهم لم يقلدوا... إلى أن قال: فما حجتك في تقليد بعض دون بعض وكلهم عالم ولعل الذي رغبت عن قوله أعلم من الذي ذهب إلى مذهبه فإن قال قلدته لأني علمت أنه صواب قلت له علمت ذلك بدليل من كتاب أو سنة أو إجماع فإن قال نعم فقد أبطل التقليد وطولب بما ادعاه من الدليل وإن قال قلدته لأنه أعلم مني قيل له فقلدت كل من هو

أعلم منك فإنك تجد من ذلك خلقا كثيرا ولا تخصص من قلدته إذ علمك فيه أنه أعلم منك فإن قال قلدته لأنه أعلم الناس قيل له فهو إذا أعلم من الصحابة وكفى بقوله مثل هذا قبحاً.

واعلم أن القوم ما أرادوا بقولهم: كونوا مع العلماء، إلا أن يربطوا الناس بعدد معين من العلماء، وإن كان الحق مع غيرهم، ولذا قال بعض أصحاب هذه المقالة لطلابه: لو رأيتموني قلتُ قولاً، وقال المشايخ قولاً، فخذوا بقول المشايخ. وقال في موطن آخر: وقد أجمع العلماء - المشايخ -^(١٦)، ثم ذكر ما أجمعوا عليه، ثم قال: ولا يمكن أن يتفقوا على خطأ، فعجباً لهذه الجراءة من قائلها والله يقول: اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون.

والعجب أن هذا القائل قد خالف إجماعاً قد تُوقن ثبوته إذ الناقل لهذا الإجماع من قد شهد له العلماء بقبول نقله لسعة اطلاعه، وتحريه وهو شيخ الإسلام حيث نقل الإجماع على وجوب قتال الرافضة. وهذا الرجل الذي يدندن بقولهم: كونوا مع العلماء قد خالف هذا الإجماع وأفتى وصرخ بملء فيه بأنه لا يجوز قتال الرافضة لأنهم مسلمون...!!! الخ

وهكذا ما هم حول هذا الكلام ولا هم مطبقون لذلك، إلا ما وافق رأيهم، وقد عُلم خاصة في هذه الفتنة، فتنة عبد الرحمن العدني، أن أصحاب هذه المقالة ما هم حولها، لأننا قد عرفنا من أقوالهم وأفعالهم أنهم ما هم حول العلماء، فيقول أحدهم في كتاب الإبانة: كتاب الإبانة حبيبي، بعد أن قال له العلماء هذا كتاب يخدم الحزبيين ويفرق دعوة أهل السنة وأن أصول هذا الكتاب هي أصول الحزبيين القدامى، وإذا به بعد هذا الكلام يعيد طبعة الكتاب مرة أخرى ويوزعه مجاناً. وهكذا بعض هؤلاء يتهم بعض العلماء بالجانسونية، وهكذا..

والواجب ربط الناس بالحق لا بالأشخاص ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: "يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون قال أبو بكر وعمر؟".

وقال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، ويذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك؛ لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيف فيهلك.

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله "أدب الطلب ص ١٥٤": "وَأَنْ لَا يَغْتَرَّ بِالْكَثْرَةِ فَإِنَّ الْمُجْتَهِدَ هُوَ الَّذِي لَا يَنْظُرُ إِلَى مَنْ قَالَ بَلْ إِلَى مَا قَالَ فَإِنَّ وَجَدَ نَفْسَهُ تَنَازَعَهُ إِلَى الدُّخُولِ فِي قَوْلِ الْأَكْثَرِينَ وَالْخُرُوجِ عَنْ قَوْلِ الْأَقْلِينَ أَوْ إِلَى مُتَابَعَةِ مَنْ لَهُ جَلَالَةُ قَدْرٍ وَنِبَالَةٌ ذَكَرَ وَسَعَةً دَائِرَةَ عِلْمٍ لَا لِأَمْرِ سِوَى ذَلِكَ فَيَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ بَقِيَ فِيهِ عَرَقٌ مِنْ عَرُوقِ الْعَصْبِيَّةِ وَشَعْبَةٍ مِنْ شَعْبِ التَّقْلِيدِ...".

^{١٦} - يعني نفسه وعدد قليل من المشايخ ممن وافقوه في ما ذهب إليه، وإلا معلوم أن الإجماع المعتبر هو ما كان في القرون المفضلة كما قال شيخ الإسلام رحمه الله، وهكذا هناك كثير من المشايخ في عصر هذا القائل حين قال هذه المقالة ما وافقوه، وكثير وكثير من العلماء من هو لم يتكلم بهذه الفتنة. فعجباً لهذا الإجماع والإتفاق.

وسئل الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي - حفظه الله - : ما قول فضيلتكم فيمن يقول: لا يقبل قول العالم المجرح إلا بيينة، وقبول قوله بدون بيينة يعتبر من التقليد؟ فأجاب حفظه الله: والله علماء الجرح والتعديل وعلماء الشريعة الإسلامية فصلوا في هذا الأمر ومنهم الحافظ ابن كثير في الباعث الحثيث أو في مختصر مقدمة ابن الصلاح، إذا تكلم إذا جرح عالم معتبر يعلم أسباب الجرح والتعديل والخلاف في هذه الأمور ولم يعارضه أحد في هذا الجرح فإنه يقبل هذا يقبل -بارك الله فيكم-، أما إذا عارضه عالم معتبر مثله بتزكية فحيثئذ يطلب من المجرح أن يقوم بالأدلة وأن يقدم الأدلة على ثبوت جرحه وأسبابه، فإذا قدم الأدلة؛ لو عارضه مائة عالم من كبار العلماء وأبرزهم لا قيمة لمعارضتهم لأنهم يعارضون الحجة والبرهان، وهم يعارضون بغير حجة ولا برهان والله يقول: قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين، فالبرهان يسكت الألوف من الذين خلت أيديهم من الحجج ولو كانوا علماء فهذه قواعد يجب أن تعرف وعليكم بمراجعة كتب علوم الحديث، ولا سيما الموسعة منها مثل: تدريب الراوي ومثل: فتح المغيث للسخاوي شرح ألفية العراقي، وهذه أمور بدئية عند أهل العلم المنازعة فيها والكلام فيها بالباطل لا يجوز لأننا نفسد العلوم الإسلامية ونخرب القواعد... إلى آخره بمثل هذه الأساليب، فلا يجوز لمسلم أن يطرح للناس إلا الحق إلا الحق ويتعد عن التلبيس والحيل -بارك الله فيكم-. اهـ من شريط أسئلة شباب عدن عن فتنة أبي الحسن.

الشبهة السابعة:

من حُرِّب يقول: نحن ما عندنا انتخابات، ولا قطع بطائق، ولا نفرش عمائمنا في المساجد ولم ننظم إلى جماعة حزبية (أي موجودة ومعروفة في الساحة كحزب الإخوان المفسون):

ومعنى هذه الشبهة: أنهم يريدون حصر الحزبية بشيء من توابعها وعلاماتها، ويريدون تعمية الناس عما أثبتته عليهم أهل الحق من مخالفتهم لأصول منهجية سلفية، كالولاء والبراء الضيق، والفرقة، والتحريش، كما سيأتي تقريره إن شاء الله.

الرد على هذه الشبهة: نقول: إن ضابط الحزبية عند أهل العلم ليس هذا، بل هذه علامات من علامات الحزبية وهي كثيرة^(١٧) وأما ضابط الحزبية فهو: الولاء والبراء الضيق، وكذا من أبرز علاماتها إحداث الفرقة والتحريش. قال الله تعالى: (... من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون). وقال سبحانه: (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله...) الآية.

وقال عليه الصلاة والسلام كما في مسلم عن جابر رضي الله عنه: (إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن بالتحريش بينهم).

قال الله تعالى: (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم...) والمراد بهذه الآية العموم من أن أهل الباطل يوالون من كان معهم ويُعادون من كان ضدهم ولو كان على الحق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في الفتاوى (ج ٣ / ٤٢١): فكيف إذا بلغ الأمر ببعض الناس إلى أن يضل غيره ويكفره، وقد يكون الصواب معه وهو الموافق للكتاب والسنة؟! اهـ.

والله سبحانه قد سمى الذين تكتلوا وتعصبوا وتجمعوا بالباطل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه ساهم الأحزاب وهم قد والوا من كان معهم وتبرءوا ممن ليس معهم وهم الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه. وكذلك هنا المراد بالآية العموم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في: وليس لأحد أن ينتسب إلى شيخ يوالي على متابعتة، ويعادي على ذلك، بل عليه أن يوالي كل من كان من أهل الإيمان، ومن عرف منه التقوى من جميع الشيوخ وغيرهم، ولا يخص أحداً بمزيد موالاة،

^{١٧} - وانظر لذلك كتاب شيخنا العلامة "أضرار الحزبية" وكتاب "علامات الحزبية" لأخينا الفاضل أبي فيروز الأندلسي.

إلا إذا ظهر له مزيد إبهانه وتقواه، فيقدم من قدم الله تعالى ورسوله عليه، ويفضل من فضله الله ورسوله، قال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " لافضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أسود على أبيض، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى " (ج ١١ ص ٥١٢).

وقال رحمه الله: فالدين أن لا يعبد إلا الله ولا يستعان إلا إياه والملائكة والأنبياء وغيرهم عباد الله كما قال تعالى {لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا فالحب لغير الله كحب النصراني للمسيح وحب اليهود لموسى وحب الرافضة لعلي وحب الغلاة لشيخوهم وأئمتهم : مثل من يوالي شيئا أو إماما وينفر عن نظيره وهما متقاربان أو متساويان في الرتبة فهذا من جنس أهل الكتاب الذين آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض وحال الرافضة الذين يوالون بعض الصحابة ويعادون بعضهم وحال أهل العصبية من المنتسبين إلى فقه وزهد : الذين يوالون بعض الشيوخ والأئمة دون البعض . وإنما المؤمن من يوالي جميع أهل الإيمان .

قال الله تعالى : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه " -

وقال : " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر " ١.هـ الفتاوى (ج ١١ ص ٥٢١-٥٢٢).

وقال رحمه الله كما في الفتاوى (ج ٣ ص ٤١٩ - ٤٢٠):

قوله: {وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ} ، وقال تعالى : {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا} إلى قوله تعالى : {فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} .

وفي الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، وفي الصحاح أيضًا أنه قال : " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا " ، وشبك بين أصابعه، وفي الصحاح أيضًا أنه قال : " والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " ، وقال صلى الله عليه وسلم : " المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يظلمه " وأمثال هذه النصوص في الكتاب والسنة كثيرة .

وقد جعل الله فيها عباده المؤمنين بعضهم أولياء بعض، وجعلهم إخوة، وجعلهم متناصرين متراحمين متعاطفين، وأمرهم سبحانه بالائتلاف ونهاهم عن الافتراق والاختلاف، فقال: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} ، وقال: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ} .

فكيف يجوز مع هذا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أن تفترق وتختلف، حتى يوالي الرجل طائفة ويعادي طائفة أخرى بالظن والهوى، بلا برهان من الله تعالى . وقد برأ الله نبيه صلى الله عليه وسلم ممن كان هكذا .

فهذا فعل أهل البدع؛ كالخوارج الذين فارقوا جماعة المسلمين واستحلوا دماء من خالفهم .

وأما أهل السنة والجماعة فهم معتمسون بحبل الله . وأقل ما في ذلك أن يفضل الرجل من يوافقه على هواه، وإن كان غيره أتقى لله منه .

وإنما الواجب أن يقدم من قدمه الله ورسوله، ويؤخر من أخره الله ورسوله، ويجب ما أحبه الله ورسوله، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله، وينهى عما نهى الله عنه ورسوله، وأن يرضى بما رضى الله به ورسوله، وأن يكون المسلمون يدًا واحدة، فكيف إذا بلغ الأمر ببعض الناس إلى أن يضلل غيره ويكفره، وقد يكون الصواب معه وهو الموافق للكتاب والسنة؟! ولو كان أخوه المسلم قد أخطأ في شيء من أمور الدين، فليس كل من أخطأ يكون كافرًا ولا فاسقًا، بل قد عفا الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان، وقد قال تعالى في كتابه في دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين: {رَبَّنَا لَا تَأْخُذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} ، وثبت في الصحيح أن الله قال: " قد فعلت " .

لا سيما وقد يكون من يوافقكم في أخص من الإسلام، مثل أن يكون مثلكم.. ١.٠هـ

وقال - رحمه الله - كما في الفتاوى (ج ٢٠ ص ١٦٣-١٦٤): ولهذا تجد قوما كثيرين يحبون قوما ويبغضون قوما لأجل أهواء لا يعرفون معناها ولا دليلها بل يوالون على إطلاقها أو يعادون من غير أن تكون منقولة نقلا صحيحا عن النبي صلى الله عليه وسلم وسلف الأمة ومن غير أن يكونوا هم يعقلون معناها ولا يعرفون لازمها ومقتضاها . وسبب هذا إطلاق أقوال ليست منصوصة وجعلها مذاهب يدعى إليها ويوالي ويعادي عليها وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته " إن أصدق الكلام كلام الله " فدين المسلمين مبني على إتباع كتاب الله وسنة نبيه وما اتفقت عليه الأمة فهذه الثلاثة هي أصول معصومة وما تنازعت فيه الأمة ردوه إلى الله والرسول .

وقال رحمه الله^(١٨): وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصا يدعو إلى طريقته ويوالي ويعادي عليها غير النبي صلى الله عليه وسلم ولا ينصب لهم كلاما يوالي عليه ويعادي غير كلام الله ورسوله وما اجتمعت عليه الأمة بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصا أو كلاما يفرقون به بين الأمة يوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون . والخوارج إنما تأولوا آيات من القرآن على ما اعتقدوه وجعلوا من خالف ذلك كافرا، لاعتقادهم أنه

^{١٨} - نفس المصدر السابق.

خالف القرآن فمن ابتدع أقوالا ليس لها أصل في القرآن وجعل من خالفها كافرا كان قوله شرا من قول الخوارج
١.١هـ.

وقال - رحمه الله - كما في الفتاوى (ج ٢٢ ص ٦٦): وأما من بلغ به الحال إلى الاختلاف والتفرق حتى يوالي ويعادي ويقاتل على مثل هذا ونحوه مما سوغه الله تعالى، كما يفعله بعض أهل المشرق، فهؤلاء من الذين فرقوا دينهم، وكانوا شيعا ١.١هـ .

وقال رحمه الله كما في الفتاوى (ج ٢٨ / ٢٠-٢١): وعليهم أن يأتمروا بالمعروف وينتأهوا عن المنكر، ولا يدعوا بينهم من يظهر ظلما أو فاحشة، ولا يدعوا صبيا أمرد يتبرج أو يظهر ما يفتن به الناس، ولا أن يعاشر من يتهم بعشرته، ولا يكرم لغرض فاسد .

ومن حالف شخصاً على أن يوالى من والاه ويعادي من عاداه، كان من جنس التتر المجاهدين في سبيل الشيطان، ومثل هذا ليس من المجاهدين في سبيل الله تعالى ولا من جند المسلمين، ولا يجوز أن يكون مثل هؤلاء من عسكر المسلمين، بل هؤلاء من عسكر الشيطان، ولكن يحسن أن يقول لتلميذه: عليك عهد الله وميثاقه أن توالي من والى الله ورسوله، وتعادي من عادي الله ورسوله، وتعاون على البر والتقوى ولا تعاون على الإثم والعدوان . وإذا كان الحق معي، نصرت الحق، وإن كنت على الباطل، لم تنصر الباطل . فمن التزم هذا، كان من المجاهدين في سبيل الله تعالى الذين يريدون أن يكون الدين كله لله، وتكون كلمة الله هي العليا ١.١هـ.

وقال الشيخ مقبل رحمه الله في البركان: (ج ٤ / ٢١): فمن خلال هذه القيود يتضح جليا أن الحزبيين يقيمون علاقاتهم على أساس الولاء والبراء للوائح التنظيمية وبنود يعقدون عليها الولاء والبراء، وقد حذر الشارع الحكيم من ذلك، فقد أخرج مسلم من حديث جبير بن مطعم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: لا حلف في الإسلام، وأَيُّما حَلَفَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً. قال النووي: " لا حلف في الإسلام " فالمراد به حلف التوارث والحلف على ما منع الشرع منه، والله أعلم. [شرح النووي].

وقال أيضا: وأما المؤاخاة في الإسلام والمخالفة على طاعة الله تعالى والتناصر في الدين والتعاون على البر وإقامة الحق فهذا باق لم ينسخ، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في هذه الأحاديث: (وَأَيُّما حَلَفَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً).

قلت^(١٩): هذا حال أهل البدع في عصرنا من سائر الفرق... الخ

وقال رحمه الله كما في تحفة المجيب (٨٨): وإذا خرج عن منهج السلف إما إلى التصوف، أو التشيع أو إقامة الموالد أو الترحيب بالقوانين الوضعية، أو الولاء الضيق كالحزبية، التي هي ولاء ضيق فيوالي من أجل الحزب ويعادي من

أجل الحزب... إلى أن قال رحمه الله: كيف يحذر الشباب من الحزبيات غير الظاهرة والتي لا يحذر منها إلا قليل من الناس وكيف يعرف الشاب أنه خالف منهج السلف في ذلك؟

يعرف بالولاء الضيق، فمن كان معهم فهم يكرمونه، ويدعون الناس إلى محاضراته وإلى الالتفاف حوله، ومن لم يكن معهم فهو يعتبر عدوهم. وكما أن الناس يسألون العلماء في الصلاة والطلاق والزكاة والحج والمعاملات، ينبغي أن يسألوا أهل العلم ويصفوا لهم أصحاب الولاء الضيق، هل هي معاملة إسلامية أم ليست معاملة إسلامية.

الشبهة الثامنة:

دفاعهم عن تحرّب بحجة أنه قد زكاه العالم الفلاني - أي قبل أن يتحرّب -

(كمن زكاه مثلاً الإمام الوادعي ثم انحرف بعد موت الإمام الوادعي):

الرد على الشبهة: قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنفُسَهُمْ بِلِ اللَّهِ يُرَكِّي مِنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ (٤٩) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُرَكِّي مِنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

فدلت هاتان الآيتان على أن التزكية تكون من الله فهو أعلم بمن اتقى قال الله: (هو أعلم بمن اتقى) وأما الناس فهم يحكمون بما ظهر لهم من صلاح الشخص واستقامته كما في الصحيحين عن سعد، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَى رَهْطًا وَسَعْدٌ جَالِسٌ فِيهِمْ، قَالَ سَعْدٌ: فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُعْطِهِ، وَهُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْ مُسْلِمًا»، قَالَ: فَسَكَتُ قَلِيلًا ثُمَّ عَلَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ... الحديث.

ثم تزكية العلماء لا تعتبر له حصانة وضمانة من الزيغان والضلال والانحراف ومن ذلك ما جاء عن سهل بن سعد، أَنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا أَبْلَى فُلَانٌ لَقَدْ فَرَّ النَّاسُ، وَمَا فَرَّ مَا يَتْرُكُ لِلْمُشْرِكِينَ شَاذَةً وَلَا فَاذَةً إِلَّا تَبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ قَالَ: «وَمَنْ هُوَ؟» فَسَبَّ بِنَسْبِهِ فَلَمْ يَعْرِفْهُ، ثُمَّ وَصَفَ بِصِفَتِهِ فَلَمْ يَعْرِفْهُ حَتَّى اطَّلَعَ الرَّجُلُ بِعَيْنِهِ قَالُوا: هُوَ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، الَّذِي أَخْبَرْنَاكَ عَنْهُ قَالَ: «هَذَا» قَالُوا: نَعَمْ قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ» الحديث.

وانظروا إلى ذلك الرجل الذي كان من كُتَّابِ الوحي وكان قد قرأ البقرة وآل عمران ولا شك أنه ما صار كاتباً للوحي إلا لما ظهر منه من الخير، والصلاح ومن ذلك قرأته للبقرة وآل عمران. وإذا به بعد ذلك يتنصر، والنبى عليه الصلاة والسلام كما في حديث ابن مسعود كثيراً ما كان يدعو "اللهم يا مقلوب القلوب ثبت قلبي على

دينك" ويقول الله تعالى له: (ولو أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً...) وذلك حينما همّ أن يطرد بعض الصحابة ويقرب بعض كبار قريش وسادتهم رغبة وطمعاً في إسلامهم كيما يهدي الله بهم كثيراً من أتباعهم ولذا قال النبي عليه الصلاة والسلام كما في مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (لو تابعني عشرة من اليهود لم يبق على ظهرها يهودي إلا أسلم) قال النووي في شرحه (عشرة من اليهود) قال صاحب "التحريير": المراد عشرة من أحبارهم.

ومعلوم أن الشيخ مقبلاً رحمه الله قد زكى أبا الحسن الماربي وذكره في وصيته ثم بعد ذلك انحرف وضل وزاغ وتحزب وصار حرباً لدعوة أهل السنة فهل نفعته تزكية الشيخ مقبل وجعلت له العصمة والحصانة عن هذا الزيغ والضلال إذ أن الشيخ ذكر ما رآه من ظاهر أبي الحسن. وكذا تزكية بعض علماء نجد ومنهم الشيخ ابن باز للزنداني، مع تحزيب الوادعي له فهل نفعته تلك التزكية. قال الله تعالى: {ومن يهن الله فما له من مكرم}.

• الشبهة التاسعة: الذين عدلوا قد اطلعوا على الأسباب التي جرح فلان من أجلها ومع هذا ما جرحوه ولا طعنوا فيه:

الرد على هذه الشبهة: نقول وبالله التوفيق: معلوم من ضوابط الجرح والتعديل وما سلكه أهل هذا الشأن من علماء المصطلح أن هناك بعض القواعد التي ثبتوها في كتبهم وطبقوها في منهجهم ومن ذلك:

- ١- أن الجرح المفسر مقدم على التعديل.
- ٢- وأن بلدية الرجل أعرف به من غيره.
- ٣- أن الجرح قد نقل المجروح عن أصل وهذا مُقدم على ما كان على الأصل لا سيما من مُجرح معتبر وببرهان وحبج.
- ٤- أن الناظر في كتب الجرح والتعديل يرى أن الذين جرحوا بعض المجروحين وكان الجرح مُفسراً من عالم مُعتبر كانوا يقبلون جرحه المفسر، والمبين بالحجة، وإن عارضه تعديل فإنهم يُقدّمون الجرح المفسر على التعديل، بل كانوا إذا وجدوا جرحاً مبهماً، ولم يُعارضه تعديل، فإنهم يقبلون الجرح لا سيما من عالم مُعتبر، والأمثلة في ذلك كثيرة في كتب الجرح والتعديل.

ونذكر من ذلك قصة جميلة جداً ترسم لنا منهجاً عظيماً كان عليه السلف التي طريقتهم أسلم وأعلم وأحكم. قال سعيد بن عمرو البرذعي: قال لي أبو زرعة: ترى داود هذا، لو اقتصر على ما يقتصر عليه أهل العلم لظننت أنه يكمد أهل البدع بما عنده من البيان والأدلة، ولكنه تعدى، لقد قدم علينا من نيسابور، فكتب إلي محمد بن رافع، ومحمد بن يحيى، وعمرو بن زرارة وحسين بن منصور، ومشیخة نيسابور بما أحدث هناك، فكتمت ذلك لما خفت من عواقبه، ولم أبد له شيئاً من ذلك، فقدم بغداد، وكان بينه وبين صالح بن أحمد حسن، فكلم صالحاً أن يتلطف له في الاستئذان على أبيه فأتى صالح أباه. فقال له: رجل سألتني أن يأتيك. قال: ما اسمه؟ قال: داود. قال: من أين

؟ قال : من أهل أصبهان . قال : أي شيء صناعته ؟ قال : وكان صالح يروغ عن تعريفه إياه ، فما زال أبو عبد الله يفحص عنه حتى فطن . فقال : هذا قد كتب إلي محمد بن يحيى النيسابوري في أمره أنه زعم القرآن محدث ، فلا يقربني .

قال : يا أبت ينتفي من هذا وينكره . فقال أبو عبد الله : محمد بن يحيى أصدق منه ، لا تأذن له في المصير إلي .^(٢٠) .
والذي سار عليه علماء العصر هو أنهم إذا جرّحوا شخصاً وحصل من بعض الملبّسين أنهم يذهبون يتزلفون عند علماء آخرين ويلبسون عليهم ويتظلمون عندهم بأنهم مظلومون .
ومن ذلك ما حصل في عهد الشيخ مقبل من أنه حزّب الزنادي وتكلّم فيه بحق وبينه مع أن الزنادي قد أثنى عليه ابن باز وغيره من علماء المملكة مع هذا لم ينفعه ذلك، وظهر ذلك بيّناً في هذه الأيام وعُرفَ وفُضِحَ، وكان كما قال فيه الشيخ مقبل - من أنه حزبي مفتون - .

ثم إن استغلال الحزبيين سكوت بعض العلماء فيمن قد ثبت جرحه بينة وبرهان والاحتجاج بذلك أسلوب ماكر من أساليب الحزبيين الرهيبة، ولجهلهم بالشريعة وأصولها خلطوا وخبطوا .

قال شيخ الإسلام رحمه الله: فإن الشرع لم يوجب على كل أهل العلم وجوباً عينياً أن يتصدوا أجمعون لكل باطل يظهر، قال تعالى : ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، فدلّت الآية على أن ذلك من فروض الكفاية ، متى قام به بعضهم سقط عن الباقي^(٢١) .

قال الشيخ ربيع بن هادي المدخلي وفقه الله تعالى مقرراً ذلك بكلام نفيس يكتب بهاء الذهب: (ويجب أن يعلم علماءنا الأفاضل ، أن لأهل الأهواء والتّحزّب أساليب رهيبة لاحتواء الشباب والتسلّط والسيطرة على عقولهم، ولإحباط جهود المناضلين في الساحة عن المنهج السلفي وأهله .

من تلکم الأساليب الماكرة : استغلال سكوت بعض العلماء عن فلان وفلان، وإن كان من أضل الناس، فلو قدم الناقدون أقوى الحجج على بدعه وضلاله فيكفي عند المغالطين لهدم جهود المناضلين الناصحين التساؤل أمام الجهلة: فما بال فلان وفلان من العلماء سكتوا عن ضلاله؟! وهكذا يلبسون على الدّهاء ؛ بل وكثير من المثقفين. وغالب الناس لا يعرفون قواعد الشريعة ولا أصولها التي منها : أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات، فإذا قام به البعض سقط عن الباقي)^(٢٢) .

وسئل رحمه الله: بعض الناس يرد قول الجراح من علماء السنة في بعض المبتدعة، بحجة أن هذا المجروح لم يتكلم فيه باقي علماء السنة، قائلاً: أين فلان وفلان لماذا لا يتكلمون؟! لو كان حقاً لتابعوه، فهل يشترط في الكلام على

^{٢٠}- تاريخ بغداد " ٨ / ٣٧٣ و ٣٧٤

^{٢١}- انظر كتاب " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ١٥ " لشيخ الإسلام رحمه الله.

^{٢٢}- الحد الفاصل ص ١٧٠ .

الشخص وتجريحه، أن يكون أكثر علماء السنة أو كلهم قد جرحوه؟ لاسيما وأن هذا الجرح قد اطلع على بينة من كلام هذا المبتدع، من خلال محاضراته وتأليفه؟.

الجواب: نعم نعم، المسألة يا إخوان، ما قرأ القوم المصطلح، أو أنهم قرؤوه ويلبسون! نقول لكم بأعظم من هذا: هب أن أحمد بن حنبل قال: ثقة، ويحيى بن معين قال: كذاب، فهل يضره قول يحيى، وقد خالفه أحمد بن حنبل؟ نعم، قول يحيى جرح مفسر، اطلع على ما لم يطلع عليه أحمد بن حنبل، فماذا؟ فماذا؟ دع عنك لو جرحه يحيى بن معين وحده، فعلى هذا إذا قام عالم من علماء العصر، وأبرز البراهين على ضلال محمد الغزالي، أو يوسف القرضاوي، أو منهج الإخوان المفسرين، نقبل ويجب قبوله، {يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين}، نعم؛ إذا جاءنا العدل نقبل كما هو مفهوم الآية، إذا جاءنا العدل نقبل، فأين أنتم من الآية؟ التي تدل على أنه إذا جاءنا العدل نبأ نقبله، وإذا جاءنا الفاسق نبأ نتبين، فماذا يا إخوان؟ فالمهم القوم ملبسون، مخالفون لعلماؤنا المتقدمين ولعلماؤنا المتأخرين، والحمد لله، وإني أحمد الله سبحانه وتعالى، الناس لا يثقون بك يا أيها المهوس، ولا بكلامك اهد المراد من شريط «الأجوبة الندية على الأسئلة الهولندية».

ثم اعلم وفقني الله وإياك للحق أن الذين ربما اطلعوا على أسباب الجرح ثم لم يروها أنها تصل إلى الحزبية والتبديع أن هؤلاء على قسمين:

أحدها: من ربما لبس عليه وأطلعوه على غير ما هو واقع من ذلك الذي حُزِبَ، وربما زادوا ونقصوا وربما أظهروا له من أخطاء هذا الذي تحزب ما لا يصل بها إلى الحزبية والبدعة، وأخفوا عنه الأسباب التي يصل بها ذلك الشخص إلى الحزبية. وهذا لا يخفى على من خبر هؤلاء الملبسين، وهذا العمل تشبهه باليهود كما جاء عند البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن اليهود جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم برجلٍ منهم وامرأة قد زنيا فقال لهم كيف تفعلون بمن زنى منكم قالوا نحممهما ونضربهما فقال لا تجدون في التوراة الرجم فقالوا لا نجد فيها شيئا فقال لهم عبد الله بن سلام كذبتم فأتوا بالتوراة فأنزلوها إن كنتم صادقين فوضع مدراسها الذي يدرسها منهم كفه على آية الرجم فطقق يقرأ ما دون يديه وما وراءها ولا يقرأ آية الرجم فنزع يده عن آية الرجم فقال ما هذه فلما رأوا ذلك قالوا هي آية الرجم... الحديث.

وكذا الحال في شأن الشيخ ابن باز مع الزندانى، فهل تظن أن الشيخ ابن باز قد اطلع على ما عند الزندانى من الضلال والانحراف والحزبية ثم هو ساكت عنه بل كان يثني عليه؟ الجواب عند الجميع أنه لم يُطلع على ما عند الزندانى من الأسباب التي تصل به إلى الحزبية.

ثانيها: من قد اطلع على تلك الأسباب، وعلم أنها أسباب تخالف المنهج السلفي، وأن صاحبها قد أحدث فتنة وفرقة، وأنها تصل بصاحبها إلى الحزبية، وربما بعضهم من قد حكم بذلك، وأثبت فتنة وقلقلة وفرقة، بل بعضهم من ربما حكم على ذلك المخالف بالحزبية، ولكن الهوى والعناد، وتقديم رأي فلان وعلان، والغلو في الصالحين والمشايخ

جعلت هؤلاء يُنكرون ما كانوا يعرفون وينفون ما كانوا يثبتون، ويسكتون عما قد نطقت به ألسنتهم، واستيقنتها أنفسهم.

وقد كانت تلك صفة بعض أهل الكتاب الذين عرفوا الحق ونطقوا به ثم لما ظهر إذا بهم ينكرونه ويكتمونه ويسكتون عنه بل ويعادونه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨١﴾ بِسْمَا أَشْرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾ وهذا في حق الكافرين من أهل الكتاب، لكن ذكر الله ذلك من أجل ألا نتشبه بهم وألا نكون مثلهم.

فالواجب أن نتحاكم نحن وهم للكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، وكلُّ يبرز دليله وبرهانه والحق أحق أن يُتبع، ولا نقلد أحداً. وسيأتي الكلام على تحريم وذم التقليد إن شاء الله.

الشبهة العاشرة:

قولهم: لا يزال فلان - أي الذي تحرّب - يثني على السنة وأهلها

(كثناء بعض الحزبيين على دماج وعلى الوادعي رحمه الله):

الرد على الشبهة: ما أوهن هذه الشبهة، ولكن لا غرر بعض الناس بهذه الشبهة أقول: إن ثناء أهل الباطل على الحق وأهله على حالتين:

الأولى: أن بعضهم يثني على الحق وأهله لشيء أراده الله من نصرة الحق حيث أن أهل الباطل إذا أثنى على الحق الذي يخالفه كان ذلك حجة عليه ودعوة للناس أن يعرفوا هذا الحق ويعتقوه وهذا كما قال عليه الصلاة والسلام: (إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، ومعلوم أن كفار قريش كانوا يلقبون النبي عليه الصلاة والسلام بالصادق الأمين. ومع هذا ما قيل إنهم على حق وإنهم مظلومون، كونهم أثنوا على النبي عليه الصلاة والسلام.

الثانية: أن بعضهم اتخذ ذلك مصيدة لضعفاء العقول والذين لا يعرفون حيل أهل الباطل فيلبسون عليهم أنهم أهل إنصاف وأنهم ما يتكلمون في العلماء فيتوهم المسكين ويقول: كيف فلان يثني على فلان، وفلان يتكلم فيه - أي في هذا الذي أثنى عليه - فيستخدم قاعدة أصحاب تحكيم العواطف فيقدح في قلبه أن المثني مظلوم وأن ذاك ظالم، وتعلمون قصة الزناداني مع الشيخ مقبل حينما قال الزناداني: الشيخ مقبل بخاري عصره، في الوقت الذي كان الشيخ مقبل يتكلم في الزناداني.

وقال الشيخ ربيع حفظه الله في رسالته: النصوص النبوية السديدة...: أم أنكم وزعماءكم أفضل من أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم؟، تعالوا بمن شئتم -ممن نجلهم ونكرمهم- فسنقول نحن وإياهم (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إِنَّ الله سميع عليم)...

الشبهة الثانية عشرة:

قول بعضهم: فلان قد تكلم فيه.

(يعنون أن الذي جرح قد تكلم فيه).

الرد على الشبهة: نقول: معلوم مما تقدم ذكره أن أهل الباطل إذا تكلم فيهم أهل الحق وجرحوا فيهم أنهم يذهبون هنا وهناك ومن شيخ إلى شيخ عليهم يجدون شيئاً يستر عوارهم ولو يستخدمون في سبيل ذلك الكذب والتلبيس والحرشة وكذلك يفعلون حتى إذا ما وجدوا وحصلوا على كلمة ممن يتزلفون عندهم وممن يُلبسون عليهم على ذلك الشيخ الذي تكلم فيهم ببينة وبحجج إذا بهم يطرون بها فرحاً شرقاً وغرباً ، ويصادمون بها الجرح الذي فيهم ، ويلبسون على العامة أنه كما أنه قد تكلم فينا فلان ، فلان - أي الذين تكلم فيهم بحجج - أيضاً قد تكلم فيه، فيحصل عند من ليس عنده بصيرة أو أثارة من علم بحال هؤلاء القوم وبتلبيساتهم التغرير والتلبيس وربما أحسنهم حالاً من يتوقف حتى يكون صيداً لهؤلاء

والحق الذي لا مرية فيه أن الإنسان العاقل الذي يُحْكَم الكتاب والسنة هو الذي يرد ما اختلف فيه إلى الكتاب والسنة ، ومعلوم أن العبرة بالحقائق والبراهين وأن من كان عنده برهان وحجة فمقبول ما جاء به من ذلك الحق وما لا يرد ، قال عليه الصلاة والسلام كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (.. ومن خاصم في باطل وهو يعلم لم يزل في سخط الله حتى يترع ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال) رواه أبو داود.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِي وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ (٢٤)

• ومن ذلك قولهم: فلان عنده أخطاء - يقصدون ذلك الذي نقد من يدافعون عنه -.

وحقيقةً، هذه في حد ذاتها لا تُعدُّ شبهة؛ لضعفها، وسذاجة عقول أصحابها، ولكن لا غرر بعض الناس بذلك ، ولتلبيس أصحاب هذه الشبهة نقول:

من ذا الذي ما ساء قط من له الحسنى فقط (١٣)

ولا ندعي العصمة لأحد سوى الأنبياء والمرسلين، ولكن الشأن في ذلك حقيقة إثبات الخطأ، وإبراز الحجّة والبرهان في إثبات ذلك الخطأ.

ثم إن ثبت ذلك الخطأ، وهو خطأ فتبقى هُناك النصيحة للمخطئ، وتقريره بالخطأ.

فإن نزع وتاب وأقرّ وأصلح فذاك المتقي العالم العامل بعلمه، ويكون ذلك من مناقبه، وإن أصرّ وعاند على الخطأ ولم يرجع، فإن كان الخطأ مما يُخرج صاحبه من دائرة أهل السنة فإن أهل العلم يحكمون على ذلك بأنه خرج من دائرة أهل السنة.

وإن كان الخطأ دون ذلك ولا يُخرج صاحبه من دائرة أهل السنة، فيكون ذلك خطأ منه ويُتعامل معه بما يحكم به أهل العلم على ضوء الأدلة الشرعية في ذلك.

ولكن القوم ما هم حول هذا الكلام، بل قصدهم ومرادهم تشويه سمعة ذلك العالم والتهوين من شأنه حيث أنه قد جرّح بيّنة من يُدافعون عنه، فيريدون تعمية الحق و صرف الناس عن قبول الحق من ذلك العالم.

وهذا الفعل تشبهه باليهود ومن ذلك ما جاء في البخاري أنس رضي الله عنه أنه قال: قال ابن مسعود.. قَالَ يَا رَسُولَ

اللَّهِ إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهتُ فَاسَأَلُهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي فَجَاءَتْ الْيَهُودُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ فِيكُمْ قَالُوا خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا وَأَفْضَلُنَا وَابْنُ أَفْضَلِنَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالُوا أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ فَأَعَادَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَالُوا شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا وَتَنَقَّصُوهُ قَالَ هَذَا كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

فهل أثر تكلمهم وطعنهم في عبد الله بن سلام رضي الله عنه، أم عُرف أن القوم قوم بُهت، وأصحاب افتراء.

ويتج عن هذه الشبهة:

الشبهة الثالثة عشرة:

قولهم: كلُّ قد تكلم في الآخر، وكلُّ قد جرح الآخر، وحصل أن هؤلاء قد تعصب لهم، وأولئك من قد تعصب لهم؛ فيكون ذلك من باب أغراض نفسية، ورد فعل، ومن جنس ما وقع بين الصحابة من خلاف، ولا يؤدي ذلك إلى تبديع، وتحزيب.

والمراد من هذه الشبهة عند أصحابها، تتعلق في شأن من نقد وتكلم فيمن تحزب، وحصل أن هذا الذي تحزب تكلم، وطعن فيمن نقده وحزبه بحق وبرهان.

وذلك أنهم نظروا إلى أن الكلام والتجريح قد حصل من كلا الطرفين، وأن ذلك يحصل من طبيعة البشر، ولا يسلم من مثل هذه الخصومات إلا من سلمه الله، ولا يصل هذا الخصام وكلام بعضهم في بعض إلى أن نحكم على أحد منهم بدعة أو حزبية، كما أننا لا نستطيع أن نحكم على ما جرى بين بعض الصحابة رضي الله عنهم من التخاصم، والقتال بالبدعة، وإن كان بعضهم قد اجتهد وأخطأ...

الرد على هذه الشبهة: لي مع هذه الشبهة وقفات:

الوقف الأولى: قولهم: كلُّ قد تكلم في الآخر.

يا أخي يقول الله تعالى: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان..)، ويقول عز وجل: (... اعدلوا هو أقرب للتقوى...)

فليس من العدل مساواة الحق بالباطل بحجة أن كلا قد تكلم في الآخر، فهل الذي تكلم بحجة وبرهان كالذي تكلم بغير ذلك، وإنما قصده تعمية، وتسوية ما قد بين من حاله بما افتراه وكذب وبت فيه تلبيساً على الناس وتعمية لهم عن الحق، وقد تقدم الرد على مثل هذه الشبهة.

ثم نقول: لا شك أنه ما من مبطل قد تكلم فيه أهل الحق إلا وهو يتكلم في أهل الحق، بهتاناً، وكذباً، ولا يكون كلامه فيهم عن حجج وبراهين، وإن حصل أن هناك بعض الأخطاء التي ربما لا يعصم منه البشر من بعض أهل الحق ممن دون الأنبياء والرسل من زلة، أو سهو، أو عن اجتهاد دون عمد، وعدم إصرار على ذلك الخطأ، ومما لا يصل بصاحب ذلك الخطأ إلى تبديع أو تحزيب. إذا بذلك المنتقد عليه يطير بهذه الأخطاء فرحاً، فيقوم فيتكلم في أهل الحق.

ثم نقول: الشأن والعبرة الذي يسلكه المنصفون هو النظر في كلام الفريقين، وعرض كلام كلا الفريقين إلى الكتاب والسنة على منهج السلف، ثم الحكم على ذلك بما وافق الكتاب والسنة، ومنهج السلف، لا أن نحكم بالعمومات وبظاهر أن كلا قد تكلم في الآخر.

فهاهم الكفار قد تكلموا في الأنبياء، واتهموهم بالكذب والسحر والشعر، وإلى غير ذلك.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هٰذَا سِحْرٌ كٰذٰبٌ ﴿٤﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيٰتِنَا وَسُلٰطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمٰنَ وَقَرَأُوا فَرَعُونَ وَهَمٰنَ وَقَرَأُوا سِحْرٌ كٰذٰبٌ ﴿٢٤﴾﴾

وهكذا كم قد تكلم المنافقون في رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي الصحابة.
 قَالَ تَعَالَى: ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾

وهكذا قول المنافقين في بعض القراء من الصحابة: ما نرى قراءنا هؤلاء أرغب بطوناً، واجبن عند اللقاء... الحديث.
 وهكذا ما أكثر ما قد تكلم به أهل الباطل من روافض وحزبيين في أهل الحق من علماء السنة، كالإمام أحمد،
 والبخاري، وكذا ابن تيمية، وهكذا في عصرنا كالألباني، والوادعي، وابن باز، وابن عثيمين، وغيرهم من العلماء
 الذين قد تكلم فيهم أهل الباطل، فهل نقول إن كلاً قد تكلم في الآخر ونساوي بين الفريقين؟ فلا شك أن الجواب
 عند الجميع أننا لا نساوي بين الفريقين؛ وذلك أن من قد تكلم فيهم من أهل الحق من أنبياء، وصحابة وعلماء سنة أن
 الكلام الذي فيهم من أهل الباطل أنه باطل، ولا يكون رآداً لما قد تكلم فيهم أهل الحلق على الباطل، لأن الحق والحجة
 والبرهان مع أهل الحق، وهكذا الشأن فيم قد تقدم الكلام عليه، إذ الجامع بين هذا وذاك هو الكلام بالحق
 والبرهان، والمخالفة للحق والحجة كل بحسبه.

الواقفة الثانية: قولهم: وكل من الفريقين قد تعصب له:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾
 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
 مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾
 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلْيَنْصُرِكُ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ نَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ
 وَيُنَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ
 ءَاوُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ...﴾

فبين الله في هذه الآيات وجوب التعاون على الخير، وأوجب وأخير ما يتعاون عليه هو إقامة الدين، والدفاع عنه
 والذب عنه، وإعانة من يقوم به، ونصرة من ينصره.

ومعلوم كثرة الأدلة في وجوب التناصر والتأزر في نصره دين الله، والدفاع عنه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾.

فالواجب على كل مسلم مناصرة الحق والدين، ومناصرة من يقوم بنصرة هذا الدين من أنبياء ومرسلين، وأتباعهم من
 صحابة وعلماء، ودعاة إلى الله، والشأن هو نصره الدين والذب عنه في كل ما يشينه ويدخل في ما ليس منه.

ولا يكون مناصرة من نصر دين الله وذب عنه من التعصب له في شيء، إذ المناصرة كانت من أجل دين الله لا من أجل
 شخصية فلان أو علان، ولكن من الناس من يتخذ الله ويصطفيه على غيره ويستعمله في طاعته، ونصرة دينه من أهل
 العلم والخير، فوجب على من علم خيراً أن يقول به، ومن علم شراً أن يُحذّر منه، ولا يقوم هذا الدين بعد عون الله

وفضله إلا بالتعاون والتظافر والتناصر تجاه هذا الدين، ومناصرة العالم العامل بالحق القائل به المناصر لدين الله من هذا الباب، ويكون ذلك بالحق والقصد هو نصره دين الله تعالى.

فلا يُعاب على من ناصر من نصر دين الله، وذنبٌ عمن ذنبٌ عن دين الله بالحق، والحجة دون تعصب لشخصه، كما يفعل الحزبيون من التعصب لمشايخهم ولو على حساب مخالفة الحق، والأمثلة في ذلك كثير، وأقرب مثال ما نحن حديثوا عهد به وهي فتنة العدني ومن تعصب له، فمن أجل هذا الشخص غيّر من كثير منهم مساره، ومنهج الذي كان يسير عليه، وأصبح كثير منهم يعرف ما كان يُنكر ويُنكر ما كان يعرف، وسُطي على أصول منهجية عليها أدلتها، وإلى غير ذلك من المخالفات للمنهج السلفي، على حساب الدفاع عن شخصية فلان. ففرق بين مناصرة الحق الذي مع الشخص، وبين مناصرة الشخص لشخصيته، ولفكره.

وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال كما في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: "من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة" رواه الترمذي وجاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا". رواه البخاري.

فإذا كان هذا في حق الدفاع عن عرض أخ مسلم بحق، فكيف بالذنب عن الدين والحق الذي يحمله ويدافع عنه، وما تُكَلِّم فيه، وما ظَلِمَ إلا بسبب ذلك. لا شك أن هذا أكد، وأوجب.

ونقول لمن وقع في هذه الشبهة: هل دفاعنا عن أشخاصٍ من أجل الحق الذي يحملوه، ومناصرتنا للحق الذي يقوله يُعدُّ من العيب، ويكون محل انتقاد، ويُساوى بدفاع من دافع عن شخصية أشخاص، وفكر من أفكارهم؟ فإن قال: لا، فهذا هو الحق الذي نريد تقريره، ولا إشكال حينئذٍ، وإن قال نعم.

فتقول: ما تقول عن دفاعك ودفاع المسلمين عن الصحابة الذين تكلم فيهم الرافضة، وطعنوا فيهم؟ ماذا تقول عن دفاع أهل السنة عن أهل العلم الذين تكلم فيهم الإخوان المسلمون كالباي وابن باز والوادعي وغيرهم من أهل العلم؟ وماذا تقول عن دفاع أهل السنة من طلاب الإمام الوادعي عن شيخهم ووالدهم ومعلمهم الإمام الوادعي حين تكلم عليه من كان من طلابه الذين انحرفوا بعد ذلك كالبيضاني، وغيره؟ وماذا تقول عمن دافع عن العلامة المجاهد الشيخ يحيى وكذا العلامة الشيخ ربيع المدخلي، وغيرهم من المشايخ حينما تكلم عليهم أبو الحسن الماربي المصري الذين كان في صفهم ثم انحرف عن طريق الحق؟.

الوقفه الثالثة: قولهم: وإن هذا من جنس الخلاف والقتال الذي وقع بين الصحابة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٨٢)

فمن أعظم ما يُخْذَل به العبد الدفاع عن أهل الباطل، والتعصب لهم؛ فإن ذلك يجعلك ما تستطيع أن ترى الحق، وتعمل به، ولا تكون عندك الأمور موزونة، ومضبوطة.

فيا أخي هناك فرق كبير بين ما وقع بين الصحابة الأبرار، الذين عَلِمَ صفاؤهم، ونقاؤهم، ونصرتهم لدين الله، وبين ما حصل ويحصل في هذه الأعصار التي قلَّ فيها الناصحون والمناصرون لدين الله، والذائبون عنه. واعلم حفظك الله أن ما قد حصل بين الصحابة دائر بين مجتهد مصيب له أجران، وهم على ومن معه كما قرر ذلك أهل العلم كشيخ الإسلام وغيره، ومجتهد مُخْطئ له أجرٌ على اجتهاده، ولا تغفل أنه قد دخل في أوساطهم أناس أهل شر وفتنة وتحريش. ثم اعلم علمني الله وإياك أنه الذي اجتهد وأخطأ من الفريقين لم يحصل منه تغيير لمنهج، ولا ولاء وبراء ضيق، ولا سطو على منهج عرفوه وساروا عليه وتعلموا وعلموه غيرهم.

أما من أردت أن تساويهم بهؤلاء بحجة الدفاع عنهم، فإنهم على العكس من ذلك. فمثلاً في فتنة عبد الرحمن العدني ومن تعصب له، ما الذي جعل من تكلم فيهم ونقدهم ينقدهم ويتكلم فيهم؟

الجواب: ليست هي نفس الأمور التي حصلت بين الصحابة رضي الله عنهم، بل أمور كانوا هم ربما يرونها من قبل أن يقعوا فيها مخالفة لشرع الله وللمنهج السلفي، وأن منها ما تصل بصاحبها إلى البدعة والحزبية من ذلك: الفرقة، والتحريش، والتعصب للأشخاص، والقرب من بعض الحزبيين القدامى، وكذا الولاء والبراء الضيق وهو موالاة من كان معهم ومعاداة من لم يكن معهم، وهذه الأمور من أبرز علامات الحزبية، وأدلتها معروفة.

• وقد يقول قائل: هل كل من تعصب لشخص، ولو كان لأمرٍ دنيوي يكون هذا المتعصب حزبياً، وربما حصل من هذا المتعصب ولاء لمن قام معهم، وبراء ممن كان ضدهم؟

الجواب: جاء في الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما بال دعوى الجاهلية؟ قالوا يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال: "دعوها فإنها منتنة"، فسمعها عبد الله بن أبي فقال: قد فعلوها والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل.

قال عمر دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه.

قال النووي في شرحه: (دعوها فإنها منتنة) أي قبيحة كريهة مؤذية.

فالتعصب مذموم وخصلة من خصال الجاهلية، وخاصة التعصب الذي يتعبد به صاحبه، فيتعصب لشخص، إما لشخصه، وإما لفكرٍ ما تدينه، فهذا الذي يجعل صاحبه حزبياً مبتدعاً.

وعلامته ذلك أي متى يكون هذا التعصب تعبدي ومتى لا يكون كذلك هو أنه يحصل من المتعصب هجر وطعنات وتحذير تجاه الذين ليسوا في صفه، وهذه الطعنات وهذا التحذير الذي يصدر من هذا المتعصب لا شك أنه يريد

بذلك التعبد بفعل ذلك؛ كونه يُدافع عن تعصب له، وهو في ذلك لا يُقر أنه على خطأ في تعصبه هذا، بل يرى أنه على حق وصواب، وهذا هو التعبد بعينه، وكما قيل: إن صاحب البدعة لا يرى نفسه أنه على خطأ بل يرى الحق معه، بخلاف صاحب المعصية لشهوة دفعته لذلك فهو واقع في الخطأ، ولكنه يُقر به ويعترف به، ففرق بين هذا وذاك. والناظر مثلاً في فتنة عبد الرحمن ومن تعصب له يرى جلياً أنهم قد حصل منهم مخالفات شرعية، ناتجة عن تعصبٍ تدينوا بها تديناً، من ذلك التحريش، والولاء والبراء الضيق، وأخذ المساجد من أهلها من أهل السنة، والتحذير من قلعة العلم والسنة في اليمن، ومن أهل الخير.

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - كما في "مجموع الفتاوى" (١٨/٣٤٦):

والبدعة: ما خالفت الكتاب والسنة أو إجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات؛ كأقوال الخوارج والروافض والقدرية والجهمية، وكالذين يتعبدون بالرقص والغناء في المساجد، والذين يتعبدون بحلق اللحي وأكل الحشيشة، وأنواع ذلك من البدع التي يتعبد بها طوائف من المخالفين للكتاب والسنة، والله أعلم. وقال الإمام الشاطبي - رحمه الله - في كتابه "الاعتصام" (ص ٣٦٤): ولا معنى للبدعة إلا أن يكون الفعل في اعتقاد المبتدع مشروعاً وليس بمشروع.

وقال - رحمه الله - في "الاعتصام" (ص ٣٦٤): فقد صار عمل العالم عند العامي حجة كما كان قوله حجة على الإطلاق والعموم في الفتيا فاجتمع على العامي العمل مع اعتقاد الجواز بشبهة دليل وهذا عين البدعة.

• الشبهة الرابعة عشرة: قولهم إن فلان لم يتكلم في فلان إلا حسداً:

الرد على هذه الشبهة: هو أن العبرة بالدليل ولا يكفي الادعاءات، بل يُنظر إلى المتكلم هل تكلم بعلم وبحجج، فحينئذ يُقبل منه ولا يُلتفت إلى مثل هذه الشبهة الواهية

قَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِتَأْخُذُوا ذُرُوعًا نَنَيْعُكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُل لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾.

فهذه حجة أهل الباطل أمام الحق وأهله عندما يريد أهل الباطل أن يسيروا الناس على ما تريد أهواءهم وينخرون في دين الله الحق ولا يريدون أحداً أن يقف في طريقهم، وكلما وقف أهل الحق في طريقهم رموه بكل بلية، ومن ذلك هذه الشبهة الهزيلة وهي أنهم محسودون.

وقد تقدم معك أخي القارئ كيف التعامل مع هذه الشبهة.

الشبهة الخامسة عشرة:

قولهم عمن تحزب بأنه يقول إنه سني وليس بحزبي ولا عنده جمعيات:

الرد على الشبهة: يقول الله تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله...) الآية. قال أهل العلم: ادعى قوم محبة الله فابتلاهم بمثل هذه الآية.

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ فَدِيمٌ ﴾ فالدعيات إن لم يتم عليها بينات فأصحابها أدياء. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْرِ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (١٨).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ، لَادَّعَى نَاسٌ دِمَاءَ رِجَالٍ وَأَمْوَالَهُمْ، وَلَكِنَّ الْيَمِينَ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ".

فما ينفع الشخص إلا صدقه بما يقول ولا يكون ذلك إلا بمطابقة القول العمل، وبموافقة الحق ونصرته. وإلا فهام أهل الباطل من اشتراكية وناصرية وروافض كلهم يدعي أنهم على الحق ويأتون بتلك الألقاب البارقة ويتسمون بتلك التسميات اللامعة وهم من أردى أهل الباطل. وكذا من أهل التحزب من يقول من قال أي حزبي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وهو حزبي محترق بل في نزعة خارجية^(٢٤)، ومثل هذا الكلام قاله الزنداني.

قال حذيفة رضي الله عنه: "إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ يُؤَثِّرُوا مَا يَرَوْنَ عَلَى مَا يَعْلَمُونَ، وَأَنْ يَضِلُّوا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" رواه هناد بن السري في ((الزهد)) (٩٤٩) وأبو نعيم (١/٢٧٨). أي: أن يُؤَثِّرَ دَلِيلُ الْوَاقِعِ عَلَى نَصِّ الْوَحْيِ. ومعنى ذلك أن العبرة بالحقائق وموافقة الحق والأدلة.

وقد اشتهر عند كثير من الناس أن ابن حاج سلفي بسبب أنه جرّب السلفية زمنًا، فلما لم يجد فيها نهمة الثورية ورأى أنها لا تُصَفِّي ما بينه وبين حكامه من حسابات نفسية تركها باطنًا ولم يُصْرِحْ بذلك ظاهراً، والله وحده الهادي؛ لأنه هو القائل: {وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى}.

ومن طرقة - أي ابن حاج - التي كان يسلكها للتأثير على الجماهير التظاهر بالورع البارد إذا قيل له بأن فلاناً يرد عليك! فيقول: "أقول كما يقول أبو ضمضم إذا أصبح: تصدّقتُ بعرضي على من ظلمني، رواه مسلم!!" ... فهو من السباحة المصطنعة؛ لأن قائله يظهر الصوم عن أعراض المسلمين.^(٢٥)

^{٢٤} - وهو إسماعيل عبد الباري خطيب مسجد الرحبي في الحديدة، قد تكلم فيه شيخنا الناصح الأمين وقال: فيه نزعة خارجية.

الشبهة السادسة عشرة:

قولهم: لا أتكلم حتى يتكلم فلان، ولا أحرب حتى يحرب فلان:

الرد على هذه الشبهة: هذا هو عين التقليد بعينه، وهو تقليد من ليس قوله حجة بغير حجة. وأصحاب هذه الشبهة يتجرؤون ويجرئون غيرهم على تعليق الناس بغير الحق بل بالأشخاص، وذلك حرام في دين الله ودعوة إلى استهانة الناس بالحق وعدم تعظيمه في نفوسهم، وأن الحق ما قاله فلان بغض النظر عن الأدلة، وهذا هو الذي أهلك من قبلنا من كان كذلك، والذي حذر الله منه فقال سبحانه:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولُو كَانٍ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنبَغُ مَا أَفَعَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولُو كَانٍ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنبَغُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولُو كَانٍ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

فدلت هذه الآيات على حرمة التقليد وأنه من أسباب هلاك الناس وبعدهم عن الحق وولوجهم في الباطل، وكذا قد حذر من ذلك نبينا عليه الصلاة والسلام:

فقد جاء عند الترمذي من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم...: (فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور...) والشاهد من الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أرشد الناس عند الاختلاف إلى سنته، وإلى سنة خلفائه الموافقة لسنته، ولم يرشدهم، ويربطهم، ويعلقهم بالأشخاص.

وكذا الأدلة التي جاءت بوجوب إتباعه وعدم تقديم قول غيره على قوله عليه الصلاة والسلام، ومن ذلك حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم حين أتاه عمر فقال إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا أفترى أن نكتب بعضها؟ فقال: " أمتهو كون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حيا ما وسعه إلا إتباعي ". رواه أحمد.

وكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: " يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون قال أبو بكر وعمر؟ ".

وقال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، ويذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك؛ لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزبغ فيهلك.

وهذه وصايا بعض السلف الصالح بالبعد عن التقليد والتحذير منه وتحريم ذلك، وأن الواجب هو إتباع الدليل:
أ- أبو حنيفة رحمه الله:

فأولهم الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله وقد روي عنه أصحابه أقوالا شتى وعبارات متنوعة كلها تؤدي إلى شيء واحد وهو وجوب الأخذ بالحديث وترك تقليد آراء الأئمة المخالفة لها:

١ - (إذا صح الحديث فهو مذهبي). (ابن عابدين في "الحاشية" ١ / ٦٣)

٢ - (لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه). (ابن عابدين في "حاشيته على البحر الرائق" ٦ / ٢٩٣)

وفي رواية: (حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي) زاد في رواية: (فإننا بشر نقول القول اليوم ونرجع عنه غدا) وفي أخرى: (ويحك يا يعقوب (هو أبو يوسف) لا تكتب كل ما تسمع مني فإني قد أرى الرأي اليوم وأتركه غدا وأرى الرأي غدا وأتركه بعد غد)

- (إذا قلت قولاً يخالف كتاب الله تعالى وخبر الرسول صلى الله عليه وسلم فاتركوا قولي). (الفلاي في الإيقاظ ص ٥٠)

ب - مالك بن أنس رحمه الله وأما الإمام مالك بن أنس رحمه الله فقال:

١ - (إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه). (ابن عبد البر في الجامع ٢ / ٣٢)

٢ - (ليس أحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي صلى الله عليه وسلم). (ابن عبد البر في الجامع ٢ / ٩١)

ج - الشافعي رحمه الله

وأما الإمام الشافعي رحمه الله فالتقول عنه في ذلك أكثر وأطيب

١ - (ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعزب عنه فمهما قلت من قول أو أصلت من أصل فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لخلاف ما قلت فالتقول ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قولي). (تاريخ دمشق لابن عساكر ١٥ / ١ / ٣)

٢ - (أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحل له أن يدعها لقول أحد). (الفلاي ص ٦٨).

٣ - (إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا ما قلت). (وفي رواية) فاتبعوها ولا تلتفتوا إلى قول أحد). (النوي في المجموع ١ / ٦٣)

٤ - (إذا صح الحديث فهو مذهبي) . (النووي ١ / ٦٣)

٥ - (أنتم أعلم بالحديث والرجال مني فإذا كان الحديث الصحيح فأعلموني به أي شيء يكون : كوفيا أو بصريا أو شاميا حتى أذهب إليه إذا كان صحيحا) . (الخطيب في الاحتجاج بالشافعي ١ / ٨)

٦ - (كل مسألة صح فيها الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أهل النقل بخلاف ما قلت فأنا راجع عنها في حياتي وبعد موتي) . (أبو نعيم في الحلية ٩ / ١٠٧)

٧ - (إذا رأيتموني أقول قولا وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه فأعلموا أن عقلي قد ذهب) .
(ابن عساكر بسند صحيح ١٥ / ١٠ / ١)

٨ - (كل ما قلت فكان عن النبي صلى الله عليه وسلم خلاف قولي مما يصح فحديث النبي أولى فلا تقلدوني) .
(ابن عساكر بسند صحيح ١٥ / ٩ / ٢)

٩ - (كل حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو قولي وإن لم تسمعه مني) . (ابن أبي حاتم ٩٣ - ٩٤)
د - أحمد بن حنبل رحمه الله

وأما الإمام أحمد فهو أكثر الأئمة جمعا للسننة وتمسكا بها حتى (كان يكره وضع الكتب التي تشتمل على التفريع والرأي) ولذلك قال :

١ - (لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا) . (ابن القيم في إعلام الموقعين ٢ / ٣٠٢)

وفي رواية : (لا تقلد دينك أحدا من هؤلاء ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخذ به ثم التابعين بعد الرجل فيه خير)

وقال مرة : (الإتياع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه ثم هو من بعد التابعين مخير) .
(أبو داود في مسائل الإمام أحمد ص ٢٧٦ - ٢٧٧)

٢ - (رأي الأوزاعي ورأي مالك ورأي أبي حنيفة كله رأي وهو عندي سواء وإنما الحجة في الآثار) . (ابن عبد البر في الجامع ٢ / ١٤٩)

٣ - (من رد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو على شفا هلكة) . (ابن الجوزي في المناقب (ص ١٨٢)
تلك هي أقوال الأئمة رضي الله تعالى عنهم في الأمر بالتمسك بالحديث والنهي عن تقليدهم دون بصيرة وهي من الوضوح والبيان بحيث لا تقبل جدلا ولا تأويلا وعليه فإن من تمسك بكل ما ثبت في السنة ولو خالف بعض أقوال الأئمة لا يكون مبينا لمذهبهم ولا خارجا عن طريقتهم بل هو متبع لهم جميعا وتمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها وليس كذلك من ترك السنة الثابتة لمجرد مخالفتها لقولهم بل هو بذلك عاص لهم ومخالف لأقوالهم المتقدمة

والله تعالى يقول: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما).

وقال: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم).

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى:

(فالواجب على كل من بلغه أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وعرفه أن يبينه للأمة وينصح لهم ويأمرهم باتباع أمره وإن خالف ذلك رأي عظيم من الأمة فإن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق أن يعظم ويقتهدى به من رأى أي معظم قد خالف أمره في بعض الأشياء خطأ ومن هنا رد الصحابة ومن بعدهم على كل مخالف سنة صحيحة وربما أغلظوا في الرد لا بغضا له بل هو محبوب عندهم معظم في نفوسهم لكن رسول الله أحب إليهم وأمره فوق أمر كل مخلوق فإذا تعارض أمر الرسول وأمر غيره فأمر الرسول أولى أن يقدم ويتبع ولا يمنع من ذلك تعظيم من خالف أمره وإن كان مغفورا له بل ذلك المخالف المغفور له لا يكره أن يخالف أمره إذا ظهر أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بخلافه

قلت^(٦٦): كيف يكرهون ذلك وقد أمروا به أتباعهم كما مر وأوجبوا عليهم أن يتركوا أقوالهم المخالفة للسنة بل إن الشافعي رحمه الله أمر أصحابه أن ينسبوا السنة الصحيحة إليه ولو لم يأخذ بها أو أخذ بخلافها. انتهى من مقدمة صفة صلاة النبي للعلامة الألباني رحمه الله.

• وأنقل لك أخي القارئ هنا كلام جميل حول ذلك من كلام الإمام الشوكاني رحمه الله من كتابه "القول المفيد في حكم التقليد".

قال الشوكاني رحمه الله ص(٤-٥): فحاصل التقليد أن المقلد لا يسأل عن كتاب الله ولا عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يسأل عن مذهب إمامه فقط فإذا جاوز ذلك إلى السؤال عن الكتاب والسنة فليس بمقلد وهذا يسلمه كل مقلد ولا ينكره... إلى أن قال رحمه الله: فانا لا نطلب منكم معشر المقلدة إلا ما دل عليه ما جئتم به فنقول لكم اسألوا أهل الذكر عن الذكر وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأعملوا به واتركوا آراء الرجال والقبل والقال ونقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تسألون فإنما شفاء العي السؤال عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا عن رأي فلان ومذهب فلان فإنكم إذا سألتهم عن محض الرأي فقد قتلتم من أفتاكم به كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث صاحب الشجرة قتلوه قتلهم الله.

فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وأيضا العلماء إنما أرشدوا غيرهم إلى ترك تقليدهم ونهوا عن ذلك كما سيأتي بيان طرف منه عن الأئمة الأربعة وغيرهم فطاعتهم ترك تقليدهم ولو فرضنا أن في العلماء من يرشد الناس إلى التقليد ويرغبهم فيه لكان مرشدا إلى معصية الله ولا طاعة له بنص حديث رسول

الله صلى الله عليه وسلم وإنما قلنا أنه مرشد إلى معصية الله لأن من أرشد هؤلاء العامة الذين لا يعقلون الحجج ولا يعرفون الصواب من الخطأ إلى التمسك بالتقليد كان هذا الإرشاد منه مستلزماً لإرشادهم إلى ترك العمل بالكتاب إلا بواسطة آراء العلماء الذين يقلدونهم فما عملوا به عملوا به وما لم يعملوا به لم يعملوا به ولا يلتفتون إلى كتاب ولا سنة بل من شرط التقليد الذي أصيبوا به أن يقبل من إمامه رأيه ولا يعتزل عن روايته ولا يسأله عن كتاب ولا سنة فإن سأله عنها خرج عن التقليد لأنه قد صار مطالباً بالحجة. "القول المفيد في حكم التقليد" (ص ١٨).

حتى استدرج الشيطان بذريعة التقليد من استدرج ولم يكتف بذلك حتى سول لهم الاقتصار على تقليد فرد من أفراد العلماء وعدم جواز تقليد غيره ثم توسع في ذلك فخيّل لكل طائفة أن الحق مقصور على ما قاله إمامها وما عداه باطل ثم أوقع في قلوبهم العداوة والبغضاء حتى إنك تجد من العداوة بين أهل المذاهب المختلفة ما لم تجده بين أهل الملل المختلفة وهذا يعرفه كل من عرف أحوالهم فانظر إلى هذه البدعة الشيطانية التي فرقت بين أهل هذه الملة الشريفة وصيرتهم على ما يراه من التباين والتقاطع والتخالف فلو لم يكن من شؤم هذه التقليدات والمذاهب المتبدعات إلا مجرد هذه الفرقة بين أهل الإسلام مع كونهم أهل ملة واحدة ونبي واحد وكتاب واحد لكان ذلك كافياً في كونها غير جائزة فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن الفرقة ويرشد إلى الاجتماع ويذم المتفرقين في الدين. "القول المفيد في حكم التقليد" (ص ٢٢ - ٢٣).

فكيف يحل لعالم أن يقول بجواز التقليد الذي كان سبب فرقة أهل الإسلام وانتشار ما كان عليه من النظام والتقاطع بين أهله وإن كانوا ذوي أرحام.

قال ابن عبد البر أنه لا خلاف بين أئمة أهل الأعصار في فساد التقليد وأورد فصلاً طويلاً في محاجة من قال بالتقليد وإلزامه بطلان ما يزعمه من جوازه فقال يقال لمن قال بالتقليد لم قلت به وخالفت السلف في ذلك به فإنهم لم يقلدوا فإن قلت قلت لأن كتاب الله تعالى لا علم لي بتأويله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أحصها والذي قد قلده قد علم ذلك فقلدت من هو أعلم مني قيل له أما العلماء إذا أجمعوا على شيء من تأويل كتاب الله أو حكاية لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو اجتمع رأيهم على شيء فهو الحق لا شك فيه ولكن قد اختلفوا فيما قلدت فيه بعضهم دون بعض فما حجتك في تقليد بعض دون بعض وكلهم عالم ولعل الذي رغبت عن قوله أعلم من الذي ذهبت إلى مذهبه فإن قال قلده لاني علمت أنه صواب قلت له علمت ذلك بدليل من كتاب أو سنة أو إجماع فإن قال نعم فقد أبطل التقليد وطولب بما ادعاه من الدليل وإن قال قلده لأنه أعلم مني قيل له فقلدت كل من هو أعلم منك فإنك تجد من ذلك خلقاً كثيراً ولا تخص من قلده إذ علمك فيه أنه أعلم منك فإن قال قلده لأنه أعلم الناس قيل له فهو إذا أعلم من الصحابة وكفى بقوله مثل هذا قبحاً. ١٠٠هـ من "القول المفيد في حكم التقليد" (ص ٢٤ - ٢٥).

- وقال شيخ الإسلام - رحمه الله - : «ومن نصب شخصاً كائناً من كان فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل فهو { مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا } وإذا تفقه الرجل وتأدب بطريقة قوم من المؤمنين مثل

اتباع الأئمة والمشايخ فليس له أن يجعل قدوته وأصحابه هم العيار فيوالي من وافقهم ويعادي من خالفهم فينبغي للإنسان أن يعود نفسه التفقه الباطن في قلبه والعمل به فهذا زاجر. وكما أن القلوب تظهر عند المحن، وليس لأحد أن يدعو إلى مقالة أو يعتقدها لكونها قول أصحابه ولا يناجز عليها بل لأجل أنها مما أمر الله به ورسوله أو أخبر الله به ورسوله. لكون ذلك طاعة الله ورسوله» (٢٧).

وقال شيخ الإسلام أيضاً: «وليس لأحد أن ينتسب إلى شيخ يوالي على متابعتة ويعادي على ذلك، بل عليه أن يوالي كل من كان من أهل الإيمان ومن عرف منه التقوى من جميع الشيوخ وغيرهم ولا يخص أحداً بمزيد موالاة إلا إذا ظهر له مزيد إيمانه وتقواه، فيقدم من قدم الله ورسوله عليه ويفضل من فضله الله ورسوله» (٢٨).

وقال في موطن آخر: وأما هذا التابع فقد شابه انتصاره لما يظنه الحق إرادة علو متبوعه، وظهور كلمته، وأنه لا ينسب إلى الخطأ، وهذه دسياسة تقدح في قصد الانتصار للحق فافهم هذا فإنه مهم عظيم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم» (٢٩).

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - «ومما يتعلق بهذا الباب أن يعلم أن الرجل العظيم في العلم والدين، من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يوم القيامة، أهل البيت وغيرهم، قد يحصل منه نوع من الاجتهاد مقروناً بالظن ونوع من الهوى الخفى. فيحصل بسبب ذلك ما لا ينبغي اتباعه فيه، وإن كان من أولياء الله المتقين.

ومثل هذا إذا وقع يصير فتنة لطائفتين: طائفة تعظمه فتزيد تصويب ذلك الفعل واتباعه عليه، وطائفة تدمه فتجعل ذلك قادحاً في ولايته وتقواه، بل في بره وكونه من أهل الجنة بل في إيمانه حتى تخرجه عن الإيمان، وكلا هذين الطرفين فاسد. والخوارج والروافض وغيرهم من أهل الأهواء دخل عليهم الداخل من هذا، ومن سلك طريق الاعتدال عظم من يستحق التعظيم وأحبه ووالاه وأعطى الحق حقه، فيُعظم الحق، ويرحم الخلق، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات، فيحمد ويذم ويثاب ويعاقب ويجب من وجهه ويغض من وجهه، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة خلافاً للخوارج والمعتزلة ومن وافقهم» (٣٠).

وكان الإمام الوادعي - رحمه الله - يقول: لا يُقلدني إلا ساقط.

^{٢٧} - مجموع الفتاوى، ٢٠/٨-٩.

^{٢٨} - مجموع الفتاوى، ١١/٥١٢.

^{٢٩} - جامع العلوم والحكم ٣/٧٦-٧٨.

^{٣٠} - منهاج السنة، ٤/٥٤٣-٥٤٤.

وقال رحمه الله في كتابه الصحيح المسند (ج ١/ ٣٢٨) - في الحاشية - عند حديث رقم (٣٨١):... لكن المقلد يتشبه بشبه أضعف من خيط العنكبوت.

وقال المعلمي رحمه الله: «افرض أنك قرأت آية فلاح لك منها موافقة قول لإمامك وقرأت أخرى فلاح لك منها مخالفة قول آخر له، أيكون نظرك إليهما سواء لا تبالي أن يتبين منها بعد التدبر صحة ما لاح لك، أو عدم صحته؟ افرض أنك وقفت على حديثين لا تعرف صحتهما ولا ضعفهما أحدهما يوافق قولاً لإمامك والآخر يخالفه، أيكون نظرك فيهما سواء، لا تبالي أن يصح سند كل منهما أو يضعف؟ افرض أن رجلاً تحبه وآخر تبغضه تنازعا في قضية فاستفتيت فيها ولا تستحضر حكمها، وتريد أن تنظر، ألا يكون هواك في موافقة الذي تحبه؟ افرض أنك وعالماً تحبه وآخر تكرهه أفتى كل منكم في قضية واطلعت على فتوي صاحبك فرأيتهما صواباً، ثم بلغك أن عالماً آخر اعترض على واحدة من تلك الفتاوى وشدد النكير عليها، أتكون حالك واحدة وبالجملة فمسالك الهوى أكثر من أن تحصى وقد جربت نفسي أنني ربما يعجبني، ثم يلوح لي ما يחדش في ذاك المعنى، فأجدني أتبرم بذلك الخادش وتنازعني نفسي إلى تكلف الجواب عنه وغض النظر عن مناقشة ذاك الجواب؛ وإنما هذا لأني لما قررت ذاك المعنى أولاً تقريراً أعجبني صرت أهوى صحته، هذا مع أنه لم يعلم بذلك أحد من الناس، فكيف إذا كنت قد أذعته في الناس ثم لاح لي الخدش؟ فكيف لو لم يلح لي الخدش ولكن رجلاً آخر اعترض علي به؟ فكيف لو كان المعترض ممن أكرهه.

افرض أنك تعلم من رجل منكرًا وتعذر نفسك في عدم الإنكار عليه ثم بلغك أن عالماً أنك عليه وشدد النكير، أيكون استحسانك لذلك سواء فيما إذا كان المنكر صديقك أم عدوك، والمنكر عليه صديقك أم عدوك؟ فتش نفسك تجدك مبتلى بمعصية أو نقص في الدين، وتجد من تبغضه مبتلى بمعصية أو نقص آخر ليس في الشرع بأشد مما أنت مبتلى به؟ فهل تجد استئناك ما هو عليه مساوياً لاستئناك ما أنت عليه، وتجد مقتك نفسك مساوياً لمقتك إياه؟ والعالم قد يقصر في الاحتراس من هواه ويسامح نفسه فتميل إلى الباطل فينصره، وهو يتوهم أنه لم يخرج من الحق ولم يعاده وهذا لا يكاد نجو منه إلا المعصوم، وإنما يتفاوت العلماء، فمنهم من يكثر منه الاسترسال مع هواه، ويفحش حتى يقطع من لا يعرف طباع الناس ومقدار تأثير الهوى بأنه متعمد، ومنهم من يقل ذلك منه ويخف، ومن تتبع كتب المؤلفين الذين لم يسندوا اجتهادهم إلى الكتاب والسنة رأساً رأى فيها العجب العجاب، ولكنه لا يتبين له ذلك إلا في المواضع التي لا يكون له فيها هوى. أو يكون هواه مخالفاً لما في تلك الكتب على أنه إذا استرسل مع هواه زعم أن موافقيه براء من الهوى، وأن مخالفيه كلهم متبعون للهوى»^(٣١)

^{٣١} - القائد إلى تصحيح العقائد ضمن التنكيل ١٩٦/٢ - ١٩٨ باختصار.

الشبهة السابعة عشرة:

قولهم: لا يقرأ طالب العلم الملازم ولكن ينشغل بطلب العلم:

الرد على هذه الشبهة: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٦٦) ﴿ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ﴾ (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ (٧) وهو المراد من هذه الآيات العموم .

فأهل الباطل كي لا يعرف الناس الحق فيتبعوه، وينكشف عور أهل الباطل يأتون بمثل هذه الشبهة، مع أنهم يخالفونها هم أنفسهم، ويحثون أتباعهم على قراءة ما هو في صالحهم، ويحثونهم على قبول تحذيرهم من أهل الحق وإن كان باطلاً، فهذا تناقض واضح فاضح. ومعلوم أن هذا الذي يلبسون به على الناس مخالف لمنهج السلف الصالح. والشأن هو إتباع الحق بالحق، فما كان حقاً أخذ وقُبل، والحق ضالة المؤمن يبحث عنه ويسأله عنه، ويبدل وسع جهده لمعرفته والأخذ به.

وقد سُئِلَ (٣٢) شيخنا يحيى الحجوري أعزه الله ورفع درجته عما قال لا تقرأوا في الملازم - يعنون ملازم الشيخ يحيى وطلابه -؟ فأجاب حفظه الله: بأن الملازم لا تستوي، فما كان من ملازم باطلة وفيها شر كملازم حسين بدر الدين الحوثي الرافضي، فهذه لا يجوز قرأتها لأنها شر وفيها عقيدة فاسدة ودعوة إلى الشر، وما كان من ملازم هدى وخير ودعوة للحق وتبيين للباطل وتحذير من الشر وهي مبنية على الأدلة إما من عالم معروف بعلمه وتحريه للحق، وإما من دعاة إلى الله فهذه تُقبل وتُقرأ ولا يُمنع من قرأتها... اهـ بتصرف

ويدل على ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث كعب بن مالك في قصة توبته، وفيها أنه جاءته رسالة من ملك غسان فأخذها وقرأها، وإذا بها الشر والدعوة إلى الباطل فرمى بها وأحرقها. وهكذا في مراسلة النبي صلى الله عليه وسلم للملوك والرؤساء ودعوتهم إلى الحق وتبيين ما هم عليه من الباطل وتحذيرهم منه، فمن هؤلاء الملوك من كاد أن يسلم كهرقل.

ومن الأدلة على ردّ هذه الشبهة العليّة قول الله في كثير من آياته: (قل هاتوا برهانكم..)، قوله: (هل عندكم من علم فتخرجوه لنا..). فالمطلوب إبراز البرهان وإخراج العلم في إثبات ما تثبت ونفي ما تنفي فما كان كذلك فيقبل وجوباً، وما لم يكن كذلك فيرد، ولا يكون معرفة ذلك إلا بطلب العلم وهذا من العلم لقول الله تعالى: قل هاتوا برهانكم..). وكذا قوله: (هل عندكم من علم فتخرجوه لنا) وهذا الذي ردّ على باطل رآه أو جرّح في شخص، فالمطلوب هو مطالبة ذلك الراد والمجرح بالدليل والبرهان لا سيّما إذا عارض هذا الجرح تعديل، فإذا أتى بالبرهان والعلم والدليل يا ترى هل نقول للناس لا تقرأوا وخاصة من كان عالماً ومن كان طالباً للعلم؛ لأنه بذلك

٣٢ - في جوابه عن أسئلة أصحاب السدة في ليلة الخميس ١٥ جماد ثاني.

سيتخذ مع هذا المخالف منهجاً من تبيدع أو تفسيق أو تكفير ومن هجر وتحذير كل بحسبه على حسب البرهان والأدلة. ومن هذا العلم النظر في الردود العلمية، والإمام الوادعي رحمه الله كان يقول: كتب كلها ردود، فهل معنا هذا أننا لا نقرأ كتبه، وننشغل بطلب العلم!؟

وهكذا قبل ذلك ردود العلماء المتقدمين كالإمام أحمد والبخاري، شيخ الإسلام وابن القيم وغيرهم، فهي ردود علمية وكتب هدى، ولا قائل بأننا لا نقرأها ونتفرغ للعلم. وكذا الملازم التي هي مبنية على الدليل والحجة ونقولات لأهل العلم التي تبين الحق وترد الباطل هي من ذلك القبيل إذ الجامع بينهما هو القول على علم وقصد تبين الحق ورد الباطل.

• الشبهة الثامنة عشرة: قولهم: في الجرح المبني على الحجة والبرهان إنه سب، ويتهمون الذين يُحذرون من فتنتهم بأنهم يسبون العلماء.

الرد على هذه الشبهة: قَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾

فانظر أخي القارئ كيف أن الله شبه من انحرف عن دينه وترك الحق الذي قد علمه، وقد آتاه الله العلم، شبهه بالكلب.

قال ابن القيم رحمه الله في "إعلام الموقعين" (١/١٦٥):

فشبهه سبحانه من آتاه كتابه وعلمه العلم الذي منعه غيره فترك العمل به واتبع هواه وآثر سخط الله على رضاه ودينه على آخرته والمخلوق على الخالق بالكلب الذي هو من أخبث الحيوانات وأوضعها قادراً وأخسها نفساً وهمتها لا تتعدى بطنه وأشدّها شرهاً وحرصاً... الخ

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾

قال ابن القيم رحمه الله في "إعلام الموقعين" (١/١٦٥): ففاس من حمّله سبحانه كتابه ليؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعو إليه ثم خالف ذلك ولم يحمله إلا على ظهر قلب فقراءته بغير تدبر ولا تفهم ولا إتباع له ولا تحكيم له وعمل بموجبه كحمار على ظهره زاملة أسفار لا يدرى ما فيها وحظه منها حملة على ظهره ليس إلا فحظه من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره فهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به ولم يؤد حقه ولم يره حق رعايته. اهـ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

فدلت على هذه الآيات على بيان الجرح فيمن يستحق الجرح؛ من أجل أن يحذروا من الوقوع فيما وقع فيه أولئك المجرهون، المحذّر منهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

ومما يدل على هذا الأصل الأصيل، ألا وهو مشروعية الجرح والتعديل فيمن يستحق ذلك:

حديث جابر في الصحيحين في قصة تطويل معاذ رضي الله عنه لصلاة العشاء.. وفيه: فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على معاذ فقال يا معاذ أفنان أنت؟ اقرأ بكذا وقرأ بكذا.

وحديث أبي ذر في الصحيحين وفيه: فَقَالَ لِي - أَي رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: أَسَابَيْتَ فَلَانًا قُلْتُ نَعَمْ قَالَ أَفَنِلْتَ مِنْ أُمَّهِ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ قُلْتُ عَلَى حِينِ سَاعَتِي هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السِّنِّ قَالَ نَعَمْ هُمْ إِخْوَانُكُمْ... الحديث.

فدلت هذه الأدلة على مشروعية الجرح إذا كان في محله، وبأدلتها، مع أن من المعلوم أن ما كان في حق الصحابة يكون من باب التأديب من النبي صلى الله عليه وسلم لهم في ذلك، وكما قال تعالى: (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم... الآية)

ومعلوم أن أهل الباطل يشوهون ما عند أهل الحق من الخير، والحق، ويلبسون على العامة في أن ما قد قيل فيهم وتكلم فيهم بالحق والبرهان، وبسبب مخالفتهم للحق، يقولون: هؤلاء يسبون العلماء، وقد تقدم معك من الأدلة ما يزيل عنك غبار هذه الشبهة الظالم أهلها.

ومن هذه الأدلة التي ترد على شبهة هؤلاء القوم:

حديث ابن عمر عند مسلم: عن ابن شهاب قال أخبرني سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها، قال فقال بلال بن عبد الله والله لنمنعهن قال فأقبل عليه عبد الله فسبه سباً سيئاً ما سمعته سبه مثله قط وقال أخبرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول والله لنمنعهن.

فيا سبحان الله ما أعظم غيرة الصحابة على دين الله، وانظر إلى هذا الرد من ابن عمر، ومع من مع ولده ممن هو من خيرة التابعين والصالحين، ولكن لا مجاملة ولا محابة في دين الله تعالى، مع أن من المعلوم كما قال أهل العلم أن قصد بلال بن عبد الله بن عمر رحمه الله كان قصده، الخوف عليهن من الفتنة. ولم يقصد المنع المطلق.

فهل سيقول هؤلاء القوم الذين سلكوا سبيل التمييع في هذا الباب، أن ابن عمر يسب الصالحين. وهكذا الناظر في كتب الجرح والتعديل وما قد قيل من قبل أئمة في قوم جرحوا بيئته وبحق أن هؤلاء الذين تكلموا فيهم أنهم

طعانون، ويسبون العلماء...!!!

وجاء في "الكامل في الضعفاء" (ص ٥ / ٢١٣) في ترجمة عبد الله بن محرر، عن عبد الله بن المبارك أنه قال: لو خيرت بين أن أدخل الجنة وأن ألقى عبد الله بن محرر لاخترت لقاءه ثم أدخل الجنة فلما رأيته كانت بعرة أحب إليّ منه. وفي "الضعفاء للعقيلي" (٤ / ١٨٢) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَبَار، قَالَ : سَأَلْتُ عَلِيَّ بْنَ مِيمُونَ الرُّقِّيَّ عَنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ سِقْلَابٍ؟ فَقَالَ: كَانَ لَا يَسْوَى بَعْرَةَ.

وحديث عائشة في الصحيحين: أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ ائْذِنُوا لَهُ فَبَسَّ ابْنُ الْعَشِيرَةِ أَوْ بَسَّ أَخُو الْعَشِيرَةِ... الحديث. والحديث: "إن فلان، وفلان لا يعرفان من ديننا شيء".

فنقول لأصحاب هذه الشبهة: هل تُسَمُّون الانتقاد العلمي المبني على الحجة والدليل سباً؟

فإن قالوا نعم: نطالبهم بالدليل على ذلك. ولكن القوم ليس عندهم برهان على ما يقولون؛ لأن كلامهم مبني على تعصب ودافع بالباطل، فأني لهم بالدليل.

واعلم أن هذه الشبهة هي نفسها شبهة الإخوان المسلمون الذين يدندنون للعامة أن أهل السنة يسبون العلماء، ويريدون بالعلماء القرضاوي، والزندان، وعمرو خالد، والسويدان، وغير ذلك من المتردية والنطيحة وما أكل السبع. وهكذا كل من انحرف وانجرف عن المنهج السلفي، وحاد عنه للحزبية المقيتة المساخة، فإن الآخر منهم لا بد أن يشابه الأول ممن تحزب قبلهم، ولو في بعض الأمور. فالزنداني كان يوماً من الأيام محسوباً من أهل السنة، وهكذا تابعه على الباطل أصحاب جمعية الحكمة فساروا سير الإخوان المسلمون، بل صاروا منهم، ثم أبو الحسن، وشابهم في كثير مما هم فيه، بل صار منهم، وهكذا أصحاب هذا الحزب الجديد حزب عبد الرحمن العديني، حصلت منهم مشابهة لهم في بعض الأمور، وهم في غيرها حريصون من أن تظهر منهم ما قد ظهر في أسلافهم ممن تقدم ذكره، والأيام حبالى توشك أن تضع، فيظهر لمن قد وقع في شباكهم، ولمن اغترَّ بهم، ما كان عليه القوم من التحزب والمخالفات.

فهذا ما سهل الله به بفضلله وعونه من ذكر ما يزيل من أمثال هذه الشبه التي ربما علقت في قلب شخص فأردته، وربما أغوته، وأخرجته من الهدى إلى الضلال، وغيّرت عنه ما كان يعرف، فجعلته ينكر ما يعرف ويعرف ما كان ينكر، وهذه هي عين الضلالة كما قال ذلك من كان خبيراً بالفتن وهو حذيفة رضي الله عنه.

فالنجاة النجاة إخواني في الله بالإقبال على طلب العلم والتحصن به بعد الاعتصام بالله تعالى كما قال تعالى: {ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراط مستقيم} وأعظم سبب في ذلك هو طلب العلم النافع من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام على منهج وفهم السلف الصالح الذين من سار على نهجهم هُدي وامن الفتن بأذن الله تعالى قال الله تعالى: {فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق..}. وقال سبحانه: {ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً}.

وفي الأخير نسأل الله أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا إتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يفقهنا في الدين، ويحبب لنا الكتاب والسنة والعمل بهما على منهج السلف، ويبيغض إلينا الكفر والفسوق والبدع والعصيان وكذا التقليد إنه سميع مجيب. والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وسلم

كتبه: أبو السمح إياد بن محمد بن زايد الحاشدي

تم الفراغ منه ليلة الجمعة من شهر جماد الآخرة الموافق ١٥ / جماد الآخرة / ١٤٣٤ هـ

دار الحديث بدماج